١٨٧

HARLEQUIN

روايات احلام

يارمال.. أعيدي ا لخيال!

أيما دارسي

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

يا رمال.. أعيدي الخيال!

أيما دارسي

لماذا يجب أن تقبل جانيس بعرض براند آشتون؟ لماذا يجب أن تعطيه ما يريده؟... ثمة حاجة ملحّة في أعماقها تطالبها بإظهار ما أحسّت به ذلك اليوم ... لكنها تطالب بالمستحيل، فليس لها سوى حبيب واحد... ولهذا الحبيب وحده يمكنها إطلاق العنان لمشاعرها...

يريد منها براند آشتون أن تعيد، أمام الكاميرا، تمثيل جمال تلك اللحظة التي لم يحسبها الزمن... ومن أجل ذلك، أعاد إلى الوراء الزمان والمكان، وأجبر البحر أن يكون شاهداً... ولكن ألا يفهم أن هذا كله لا يكفي؟

www.arabookstore.com

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	الإمارات: ١٠ دراهم	مصر: ٤ جنيه	ليبيا
سوريا: ٧٥ ل.س	قطر: ١٠ دراهم	المغرب: ١٥ درهم	اليمن
الأردن: ١,٥٠ دينار	البحرين: ١ دينار	تونس: ٢ دينار	السودان
الكويت: ٧٥٠ فلس	السعودية: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال	العراق

أيمّا دارسي

كانت أيمّا دارسي ممثلة قبل أن تصبح زوجة وأمّاً. ولاحقاً أخذت تهتم بالرسم الزيتي، ولكنها اعترفت بأنها لم تفلح فيه... بعد ذلك جربت الهندسة المعمارية فوضعت تصميماً لمنزلها الواقع في «نيوساوث ويلز». ومؤخراً أصبحت كاتبة روايات رومانسية، وبحسب ما اعترفت: «أن كتابة الروايات العاطفية من أصعب الأعمال وأشدّها بعثاً للتحدي».

www.elmoheet.com

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.
كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Fantasy
First published in Great Britain 1985
Harlequin Mills & Boon Limited
© Emma Darcy 1985
Translation © Dar El-Farasha- 2000
ISBN 9953 - 15 - 000 - 1

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار ـ سنتر زعرور ـ
ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٨٤١٤٠٢ ـ ١ ـ ٩٦١ ـ بيروت ـ لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

١ ـ حورية البحر . . . غرقت!

كانت السيارة تقفز من حفرة إلى أخرى، لذا صعب عليها السيطرة والسير بشكل مستقيم. . . كانت الشجيرات الشائكة القصيرة تزداد كثافة وتتجمع على الطريق الترابية. . . وفي الوقت الذي بدأت فيه جانيس تفكر أنها أخطأت اختفى الدغل وظهر البحر أمامها.

أوقفت السيارة بغتة، ومالت إلى الأمام لتطفىء الأنوار الأمامية، فومض بوجهها نور آخر من الظلمة أمامها. . . أغمضت جفنيها المتعبين، وعصرت بعض الإرهاق من عينيها، ثمّ نظرت مرة أخرى. . لا شيء، الظلمة حولها كاملة، في هذه اللحظة شعرت بالراحة، إنها بمفردها. . ليست بمفردها فقط بل هي بعيدة كل البعد عن أي كائن بشري. . يمكنها البقاء هنا دون الخوف من قدوم أحد للسؤال أو النظر إليها بعينين فضوليتين.

أسندت رأسها للحظة طويلة إلى باب السيارة. . . كان هواء البحر يتسلل إلى السيارة من النافذة المفتوحة، فيداعب أنفها. . وكانت الأمواج الهادئة المتلاطمة تغسل بصوتها الرتيب عقلها المضطرب الذي يرفض المزيد من التفكير، فكل فكرة تخطر ببالها تثير في أعماقها الغثيان. .

ترجلت من السيارة فكاد هدير البحر يصمّ أذنيها. . . ولكنها اقتربت منه وراحت تخلع نعليها وفي هذا الوقت كان زبد البحر يتلألأ

تحت ضوء القمر ويتهادى دونما نهاية منسكباً على أقدام الشاطىء وكأنه يومىء إليها أن تتقدم قبل أن يسحب ذيوله بخجل.. تسلل الرمل الرطب إلى ما بين أصابع قدميها.. وكم كان ملمسه رائعاً...

تحركت يدا جانيس غريزياً لتحرّر جسمها من ملابسها الخارجية التي رمتها تحت قدميها وعلى وجهها نظرة اشمئزاز... فهذه الثياب لا تنتمي إلى هذا المكان الذي ليس فيه فساد أو تحريف لمسار الكون أو أثر للمجتمع المريض الملتوي... دارت نظرتها ببطء في الخليج، ها هو البحر يقضم هذه الصخور والرمال منذ آلاف السنين، وها هو يتابع مساره إلى ما لا نهاية غير مكترث بالحضارة المزعومة.

مرة أخرى التفت المياه حول قدميها.. تدعوها إليها باغراء.. فانصاعت إلى جاذبية البحر مرحبة بالبرودة التي كانت تتكسر حول ساقيها.. كانت تشعر بحاجة ملحة إلى تحرير نفسها من أحداث هذه الليلة، تجاوزت جانيس أقدام الموج وانتقلت إلى حيث ترتفع المياه.. هنا.. المكان هادىء يبعث في النفس الهدوء، أخذت تطوف مع المد وكأنها قطعة حطب طافية.

فجأة تناهى إلى مسمعيها صوت غريب... فأخذ عقلها يترجم الرسالة بقوة وأنبأها التعقل أنّه صوت آدمي.. حركت رأسها إلى الجانبين وهي لا تعرف ما تسمع.. ثم رأت رجلاً يخوض الموج ويتوجه إليها فعاد التوتر يكتسح أعصابها.

أنزلت ساقيها إلى الأسفل مذعورة منه، ثم بدأت ترفس المياه بحدة. ولكن ما إن بدأت تسبح، حتى تشنجت عضلات ساقيها وشل التشنج جسمها... بشكل تلقائي فتحت فمها وبدأت تطلق صيحة عذاب، ولكن المياه خنقت صوتها وأصبحت ساقاها بلا فائدة.. إنها تغرق، اندفعت تحرّك ذراعيها بذعر فاستطاعت بحركتها تلك أن تصعد إلى سطح الماء فسحبت بعض الأنفاس ولكن الألم عاد يشلّها ولفها

الماء... كان ألماً فظيعاً لا نهاية له.. وكادت رئتاها تنفجران طلباً للتنفس... يجب أن تتنفس.

عاد الوعي إليها ممزوجاً بالألم، وانتفخ صدرها الذي امتلأ بالمياه المالحة فراحت تئن بصوت معذّب.

- ايتها البلهاء! إن أردت إغراق نفسك فقومي بذلك على شاطىء شخص آخر!

ضاعت الشنيمة في عرض البحر... ولم تأبه جانيس بأي شيء لأنها كانت تنتحب وتقول: «آه! يا إلهي!».

ثم وصلت إليها يدان ساعدتاها، وهناك على الشاطىء انهارت جانيس وراحت تلك اليدان تدلكان عضلاتها المتشنجة... وشيئاً فشيئاً، بدأ التشنج يزول حتى اختفى تقريباً... أرخت جانيس ضغطها على اسنانها، وفتحت عينيها فوجدت الرجل راكعاً أمامها... وكان يبدو كتلة ضخمة سوداء.

همست: «شكراً لك».

قال بلهجة آمرة زاجرة:

- لقد انتهت تمثيلية حورية البحر هذه الليلة... انهضي على قدميك.

قبل أن تتمكن من لملمة قوتها لتتحرك، مال فوقها وجذبها إلى فوق... تهاوت ساقا جانيس وكادت تقع مجدداً، لولا أنه امسكها في الوقت المناسب.

تمتم بغيظ:

- اللعنة! أعتقد أن عليّ أن أحملك.

لم يكن هناك أي لطف في الذراعين اللتين ضمتاها، التلامس الإجباري بينهما جلب فيضاً من الحرج وزاد من توترها.

- ارجوك... يمكنني أن أسير لو..

www.elromancia.com

ـ اخرسي!

جعلتها حدة الرجل النافد الصبر ترتبك فحاولت التململ لكنه شدها إليه أكثر فأكثر.

قالت: «أرجوك...».

ـ لن أقضي الليل اللعين كله على شاطىء بارد أتودد إليك.

ـ لو تركتني لما اضطررت للقلق علي.

تجاهلها وتوجّه نحو الطريق، غير أنه لم يتجه باتجاه سيارتها التي تقف على بعد مئة متر إلى الخلف.. وتحول الارتباك والحرج إلى خوف.

سألت بصوت مخنوق حاد؛ والذعر يملأ صوتها:

ـ إلى أين تأخذني؟

وصل إلى أرض صلبة، وأوقفها فجأة على قدميها... كانت يداه تمسكان خصرها لتبقى ثابتة وكان يأخذ نفساً عميقاً ثم يزفره.. أخيراً تكلم.

ـ اسمعي أيتها السيدة! أنا غير مهتم بك.. النساء المتوترات يضجرنني.. بصراحة أنت مزعجة كالصداع.. انا متعب.. وبسببك تبللت واخترق البرد عظامي.. سأعود إلى كوخي لأستحم وللبحث عن الدفء، وإذا كان ممكناً، أن أنام، وستأتين معي.

ـ معي سيارتي.. ولا داعي أن..

صاح بنفاد صبر: «لا مجال! إذا ظننت انني سأعطيك فرصة أخرى لتغرقي ما يكربك، فمن الأفضل أن تعيدي التفكير مرة اخرى.. من الأفضل لي ألا أجد جثة غارقة رماها الماء على الشاطىء.. هذا عدا ذكر مشقة استدعاء الشرطة».

ـ لكنني لم أقصد أن...

ـ انت تهدرين وقتك سدى...

ـ لا.. حقاً أنا..

ـ أوه.. حباً بالله! لقد رأيت أنوار سيارتك وهي تنزل ثم راقبتك لأعرف ما تنوين فعله.. تقدمت مباشرة إلى البحر، وغطست دون تردد ودون إلقاء نظرة إلى الخلف... عملية انتحار عن سابق تصور وتصميم لم أرَ مثلها من قبل، وعندما ناديتك تجاهلت ندائي وما إن رأيتني وأنا قادم إليك حتى أغرقت نفسك لئلا أراك.

ـ لقد تشنجت ساقاي و...

ـ الماء بارد.. وأنا أشعر بالبرد، ولن أقف هنا لأجادلك.. ما تفعلينه بنفسك غداً أو الاسبوع القادم، لا شأن لي به. لكنك الليلة، أتيت إلى شاطئي لذا أصبحت شأناً من شؤوني.. الآن اصمتي وسيري معي، بما أنك لا تحبين أن أحملك. يقع كوخي وراء تلك الأيكة.

ادارها ودفعها بالاتجاه الصحيح.. فاندفعت إلى الامام متعثرة، فيده التي كانت على ظهرها لم تسمح لها بأي خيار، ولم يكن لديها القوة لتقاومه.. ثم إنها الآن ترتجف برداً.. بعد قليل بدا أمامها في الظلام مبنى صغير. الواضح أن هذا هو مصدر النور الذي شاهدته عندما كانت في السيارة.. كان كوخاً مستطيلاً، صغيراً، وبدائياً، بابه الأمامي مفتوح. ترددت على العتبة.. وهاجمها الذعر مرة أخرى من فكرة إغلاق الباب عليها وهي وحدها مع غريب عدائي. لكن الرجل دفعها إلى الداخل وأغلق الباب، يقول آمراً:

ـ قفي دون حراك لأضيء النور.

تسمّرت جانيس في مكانها... كان عقلها مخدراً تخديراً يجعلها غير قادرة على أي عمل آخر... كان النور متدفقاً من مصباح «كاز» قديم الطراز..

قفز وجه الرجل إلى الحياة في وهجه الأصفر... وجهه قاسٍ مهيب، يحيط به شعر أسود كث مشعث.. حاجبان مستقيمان يمتدان

www.elromancia.com

فوق عينين عميقتين بنيتي اللون.. أنفه معقوف قليلاً. فكه قوي ومربع، خطوط عميقة محفورة من الخدين إلى الفم، فم جذاب أصبح بالتدريج رفيعاً مستقيماً بتوتر شديد وهو ينظر إليها.

ـ سأشغّل سخان الماء.. خذي بطانية عن السرير، وضعيها حولك.

قفزت عيناها بعيداً عنه وعن القوة الرجولية المخيفة الكامنة فيه.. رأت سريراً مزدوجاً في زاوية الغرفة وغطاءً من «الموهير» ممتداً أمامه على الأرض. تحرك الرجل نحو الباب الخلفي، واختفى في الخارج... لأنها استراحت لغيابه، انتزعت جانيس الغطاء ولفته حولها، وجلست على السرير.. كانت ساقاها ترتجفان بشكل كبير وهي بحاجة للراحة ولاسترداد توازنها.

تدافعت الأفكار المشوشة إلى تفكيرها... إنها أكثر إرهاقاً من أن تفكر بصفاء، ومن الأسهل الجلوس ببساطة.. بانتظار الرجل ليقول لها ماذا تفعل. لقد أنقذها من الغرق.. لولاه لماتت، لكنها غير واثقة ما إذا كانت مسرورة لبقائها حية، ولا تستطيع أن تجد الإرادة لتهتم بالمستقبل الآتي.

ـ تعالي، المياه تجري ساخنة.

نظرت مخدرة الإحساس إلى الرجل، دون فهم لكلماته.. هو أكبر سناً مما ظنته قبل قليل. لقسماته النضوج المستقر.. إنه أقرب إلى الأربعين منه إلى الثلاثين، مع ذلك فجسمه جسم شاب صغير.

ـ تحركي.. اللعنة! لقد حملتك بما فيه الكفاية لليلة واحدة.

أجبرت جانيس ساقيها على الطاعة، وأشار لها إلى الخارج، فلحقت به عبر شرفة صغيرة إلى غرفة مضاءة بمصباح من الكاز كذلك. بدا أن الغرفة تحوي عدة أغراض.. ففيها أدوات صيد وخراطيم الغسيل على جدار آخر.. وطاولة، وحوض تستره ستارة طويلة. قال لها

الرجل:

ـ اسرعي! فالماء يجري في الحوض.

ولكنها لم تتحرك بل ظلت واقفة جامدة فراح يتأمل جمالها.

فجأة سألها بقوة:

ـ لماذا بحق الله تخاطر امرأة لها مثل جسمك بإغراق نفسها؟

تمتمت وقد سرى دفء غادر في شرايينها:

ـ لم أكن أفكر في إغراق نفسي.

أمسك الرجل بكتفيها وهو يفكر فانبعثت منه قوة شعرت بها تخترق أوصالها.. أمامها رجل حقيقي.. وليس مثل ستيڤنز، هذا الرجل يعي حقاً أنها إمرأة.

ـ أنت لست قبيحة أبداً.

لاقى قوله آذاناً صماء... وجاشت في داخلها مشاعر مجنونة، فقد جعلتها صدمة خيانة الرجل الذي أحبته تصرخ أنها امرأة وتريد أن تحب كامرأة.. تريد أن تعرف بما كانت ستشعر لو كان ستيڤينز ذلك الرجل الذي ظنته، لو أرادها وأحس بها كهذا الرجل.. كانت تتطلع بشوق إلى ليلة زفافها.. ليلة لن تأتي الآن! دفعها الإحباط، والفضول المنحرف، إلى مد يدها إلى كتفي هذا الرجل بأصابع ناعمة، رقيقة، مذهولة.

سحب الرجل أنفاساً سريعة ثم تبع ذلك رفض فوري فقد ضرب يدها ليبعدها عنه، ونظر إليها بازدراء متوهج:

ـ ما أنت؟ مجنونة بالرجال؟ أم أنك تحبين الحياة الخطرة؟ قد يكون عرضك مغرياً.. لكنني لست يائساً للنساء لدرجة أن أقبل أي شيء يعرض علي. أسرعي إلى الحوض واستحمي وفي هذا الوقت سأعد بعض القهوة التي قد تردّ إليك بعض تعقلك.

عرفت جانيس أن عليها أن تخجل من نفسها، والواقع أن تصرفها ذاك صدمها.. لكن الإحساس بالفراغ عاد يغلفها مرة أخرى.. في مكان

ما من أعماق عقلها كانت مصدومة، لكن هذه الصدمة لم تبدُ مهمة، لم يكن مهماً ما يفكر فيها هذا الرجل. إنه غريب وليس من عالمها، موجود هنا الليلة وغداً يرحل.. هذا أمر يثير السخرية حقاً.. فهي ليست أبداً مجنونة بالرجال، لأنها بكل بساطة عذراء، وعذريتها لم تُهدد ولو مرة واحدة..

لفت الغطاء الموهير حولها مرة أخرى، وعادت إلى الغرفة الرئيسية.

كان الرجل قد ارتدى بنطلون جينز وكنزة، ووقف قرب المدفأة التي تشتعل على الغاز منتظراً إبريقاً ما ليغلي. كان هناك كوبان على طاولة خشبية.. جذبت جانيس كرسياً لتجلس وفي هذا الوقت امتنع كلاهما عن الكلام... الواضح أن الموقف لا يعجبه، وجانيس ليس لديها ما تقوله له، ولن تشرح له سبب تصرفها.. لقد أخذ زمام المبادرة لنفسه وجاء بها إلى هنا.. فإذا لم يكن هذا يعجبه فلا يلومن سوى نفسه.. صفّرت غلاية الماء، فصب الماء الساخن في الكوبين ووضع واحداً لها.

ـ في الفنجان سكر ولكن ليس فيه حليب.

ـ أنا لا أستخدم أياً منهما.

من غير المقبول أن يزيد وزن عارضات الأزياء، هذا ما ركزه ستيفنز في ذهنها.. كان معجباً بخصرها النحيل وبوركيها غير المكتنزين وبساقيها المديدتين، لكنه طالما انتقد صدرها العامر وطالبها بوضع مشد ليظهرا أصغر حجماً في بعض الصور... وكان يقول بقرف:

ـ عارضات الأزياء الشهيرات لسن بقرات.

بعد استعراض سريع لكلماته وتصرفاته وجدت أنها كانت عمياء بلهاء، ساذجة لأنها لم تدرك أن في علاقتهما شيئاً غير طبيعي.. ستيفنز لم يكن قط رجلاً، ليس كهذا الرجل الجالس أمامها عابساً.. طقطقت

كرسيه، فنظرت إليه، لتجده يدرسها باستهداف بارد.

ـ يبدو أنني أعرف وجهك.. فهل هذا ممكن؟

ثار الذعر في قلبها، فآخر ما تريده هو أن يعرفها أحد. انفصالها عن ستيفنز سيجلب انتقادات ستكون أكثر من كافية ولكن إذا أشيع أنها حاولت الانتحار فستتصدر العناوين الأولى في كل الصحف. أجبرت نفسها على عدم إظهار أي اهتمام بما يقول:

ـ لا أرى سبباً، لأننا بكل تأكيد لم نلتقِ قطّ.

نظر إلى يدها: «غير متزوجة».

هزت رأسها، وأحست بالراحة لأن الخطر ابتعد عنها.

ـ مشكلة مع رجل؟

التوى فمها قرفاً: «بإمكانك قول هذا».

ـ هذا ما يفسر الأمر.

جلب تعليقه الجاف الاحمرار إلى وجنتيها.. فالواضح أنه يحمل ردها أكثر مما كانت تعني. وأن تلك الرغبة المتهورة في لمسه، أظهرتها على أنها امرأة راغبة.

قالت: «أنا آسفة لأنني... أزعجت ليلتك، وتسببت لك بالمتاعب.. أنا.. لم أعتقد أن في هذا المكان أحداً».

ـ من حسن الحظ أنني كنت هنا.

ردت بصوت كئيب: «أجل من حسن حظي».

تمدّد إلى الخلف في مقعده، يرجعه متأرجحاً إلى الوراء.

ـ ألم يرغب فيك؟

ارتفع نظرها إليه للحظة فبان عمق خيبتها في عينيها، قبل أن تركزهما عليه بتعب:

ـ لا.. لم يرغب فيّ.. بل كان يريد الصورة، ولم يردني أنا.

سأل بصوت ملؤه بالحيرة:

ـ أية صورة؟ أتقصدين الوجه والجسد؟ أم الشخصية...

قاطعته بسرعة:

ـ لا.. لا.. إنه لا يرغب في امرأة.. امرأة حقيقية... كنا سنتزوج الأسبوع المقبل. الليلة.. لم يكن يتوقع قدومي إلى شقته.. لكنني ذهبت.. كانت الموسيقى مرتفعة، لذا لم يسمعني عندما قرعت جرس الباب.. فاستخدمت مفتاحي، ولمّا دخلت شممت رائحة ثقيلة، حلوة.. كرائحة البخور، لا ادري ما هي، ولكنها أقلقتني. دخلت إلى غرفة النوم.. فإذا هو مع.. مع.. وكانا.. كانا.. هربت ورحت أقود سيارتي حتى وجدت نفسي هنا.

الدموع التي حبستها جانيس ساعاتٍ طويلة بدأت تنهمر على خديها... وأصبحت العينان الكبيرتان الخضراوان بركتين من البؤس، وبسبب انشغالها بألمها الداخلي لم ترَ لمعان الفهم على وجهه، ولا الشفقة التي ظهرت في عينيه.

تابعت الدموع جريانها وتدفقها، فانحنت جانيس إلى الأمام، تضع رأسها على يدها تبكي دونما رادع.. وبدا لها أن قلبها يكاد ينفجر، وأخذت تنتحب وتنتحب حتى شعرت بالراحة من هذا الطيف الذي يمسك بخناقها.. مضى وقت طويل قبل أن يتحول النحيب إلى تنهيدات صغيرة محطمة، ومسحت البلل عن عينيها بظاهر يدها.

لحظتئذٍ فقط أحست باصابع تنقر على الطاولة لحناً رتيباً، فارتفع صدرها مرة اخرى وقاومت لتسيطر على نفسها، ثم اختلست نظرة إلى الرجل فلاحظت العبوس العميق الذي شد حاجبيه المستقيمين معاً.. توقفت الأصابع عن النقر على الطاولة، وأحست بنظرته عليها.

ـ هل ترغبين في الاستلقاء؟

حمل السؤال الهادىء التورد إلى خديها، فأحنت رأسها لا تعرف بماذا ترد، لقد ثابر هذا الرجل على إساءة الحكم عليها ولا تستطيع أن

تعرف ما إذا كان لطيفاً معها أم منتقداً.

ـ لا بد انك تشعرين بالاستنزاف.. لقد كانت ليلة قاسية لك، وأنا لم أسهل الأمور عليك.

تنهد.. وفتح يده دلالة الاسترخاء:

ـ آسف لأنني كنت.. غير متعاطف.

ـ لم أفكر حقاً في إغراق نفسي.. أنا فقط... أحسست.. أنني بحاجة...

لوح يده بصرف النظر عن حاجته لشرحها:

ـ لا داعي للشرح، احمدي الله لأنك تخلصت منه..

همست: «أعرف».

رفع نفسه ليقف، ودار حول الطاولة ثم ضغط على كتفيها بلطف.

ـ تعالي إلى السرير، وفي الصباح ستشعرين أنك أفضل حالاً...

وكأنه متأكد أنها ستقبل اقتراحه إذ مال إلى الأمام وأطفأ المصباح، لكن جانيس لم تستجب بسرعة، فاندست ذراعه حول كتفيها ترفعها للوصول إلى السرير.

ـ أرجوك.. أنا قادرة على السير دون مساعدتك.

رفع الغطاء لها، وما إن استلقت على الفراش حتى شعرت بالراحة والأمان... وما لبثت أن اتخذت وضعية النوم التي اعتادت عليها، غير أنها سرعان ما تنبهت، إذ سمعت الفراش يتحرك، إلى الرجل الذي جلس على السرير وفي عينيها تساؤل.

قالت بصوت مختنق: «ماذا تريد؟».

ـ اسمعي! لقد عاملتك بسوء وكدرتك، وعذري أنني لم أكن أفهم ما تشعرين به، ولم أفهم الصدمة التي واجهتها.. وما من امرأة تستحق الأذى هكذا..

امتدت يده بلطف تمسك كتفها:

ـ أنت امرأة.. امرأة.. امرأة جميلة مرغوبة وأنت كاملة.

نظرت إليه، وعقلها في حيرة.. فابتلعت ريقها بينما يده تتابع جريانها على كتفها، بخفة الريش..

ـ استرخي.. وأرخي أعصابك فلن أؤذيك أبداً...

ثم ما لبث أن عانقها بلطف.

* * *

٢ ـ يوم ضاع من الزمن

إنها السبب في إقدامه على معانقتها فليس هناك ما هو أوقح مما فعلته عندما مدت يدها إليه تريد إغواءه فكيف السبيل الآن لإيقافه! ماذا يمكنها أن تقول؟ يجب أن تقول شيئاً.. فتحت فمها.. لكن أية كلمات كان يمكن أن تقولها، انحبست في حلقها، فقد ازداد عناقه عمقاً، ففجّر في أعماقها لهيباً من المشاعر الغريبة.

شدت يدها على اليد التي تداعب كتفها.. كانت تحس بسرور غريب لإحساسها بقربها منه... ولكن صوتاً من التعقل صاح في أعماق عقلها أن هذا غلط.. فهي لا تعرف هذا الرجل، ولا تعرف اسمه، من الغلط الفادح الانجراف معه... ولكن عقلها كان يغرق برسائل أخرى.

أغمضت جانيس عينيها، وادعت لنفسها أن هذه ليلة عرسها.

لكن هذا ليس عريسها، ليس ستيفنز.. لكن، ستيفنز خانها، وغشها... وخدعها... أما هذا الشعور الذي يجتاحها فليس خدعة... إن قرب هذا الرجل منها يولّد في أعماقها مشاعر لم تعرف أنها موجودة عندها.. ولكنها فجأة ثابت إلى رشدها وشعرت بالخوف مما هو آتٍ فلم يسبق لها أن عرفت رجلاً معرفة حميمة ولن تفعل هذا اليوم مع غريب.

شعر الرجل بترددها فابتعد عنها ولكنه لمس وجهها بخفة:

ـ هل أنت بخير؟

www.elromancia.com

حمل الصوت العميق قلقاً فشعرت بالحرج الشديد، وتمنت لو لم يتكلم..

ـ أجل.. أجل.. أنا بخير.

خرجت الكلمات رسمية مؤدبة، نسبة لموقف يدعو إلى العكس تماماً... وابتلعت موجة هستيريا وهي تواجه ذلك الموقف.

نظر إليها نظرة عميقة فرأى في عينيها الشوق وشيئاً آخر عرف أنه الذعر أو الخجل وفجأة فهم... فهم سبب ترددها وتقوقعها على نفسها فهي لست امرأة رخيصة أبداً. سألها وفي عينيه الاستغراب: «أنت عذراء أليس كذلك؟».

أحست بالحرج يعود إليها مجتاحاً وجنتيها بدفق من التورد.

رفعت عينيها إليه وقالت بصوت مختنق: «لم أعرف قط رجلاً».

ابتعدت عنه وهي تشعر بالخجل من نفسها فقال:

ـ أنت لم تعرفي رجلاً من قبل... اللعنة! ولكنك لم تتصرفي كساذجة... ولم يخطر ببالي أن هذا ممكن.

تنهد يهز رأسه.. وحين تكلم مرة ثانية كان الغضب قد استبدل بالقلق:

ـ حسناً... سامحيني فأنا لا أريد أن أزيد الطين بلة.. ولن أسبب لك وضعاً أنت بغنى عنه.

ثم ابتعد عنها...

امتد الصمت بينهما، وكان هذا الصمت أشبه بجدار صلب أكثر من ابتعاده عنها.. مع ذلك، ابتعادهما فرض عليها ادراكاً أقوى بالرجل. كان واقفاً وقفة جامدة ولكن حوله طغى شيء من التوتر.

صدمت فجأة بأن يكون ستيفنز قد ابتعد عن أفكارها لوقت أطول مما هو ممكن.

سمعته يتمتم:

ـ أخبريني عن نفسك.

نظرت إلى الرجل بحدة.. إنه يعرف عنها أكثر مما اعترفت به أمام أحد.. ولسوف تموت حرجاً لو التقت به مجدداً بعيداً عن هنا..

سألت: «هل تعيش هنا طوال الوقت؟».

ـ أجيء واذهب... أين تعيشين؟

ـ في سيدني.

ـ ماذا ستفعلين غداً؟

ـ لا أدري، سأفكر في الأمر وأنا عائدة إلى المنزل.

ستكره أن تشرح لأمها أن الزواج ألغي.

ـ لن يكون الأمر سهلاً... أليس كذلك؟ الأفضل لك الابتعاد عن ذلك الجو بضعة أيام. بإمكانك البقاء هنا إذا شئت.

ردت مسرعة: لا أستطيع.

ـ لكنك بحاجة إلى فرصة لالتقاط أنفاسك.. ولملمة أفكارك.. هل ذهبت يوماً لصيد السمك؟ إنه عمل مريح للأعصاب، يفرغ الذهن من كل الضغوط.

عادت إليها ذكريات من طفولتها جالبة معها موجة حنين أرقت صوتها.

ـ كنت أذهب إلى الصيد مع أبي.. وكان هذا منذ زمن طويل.

ـ وهل والدك في بلدتك؟

ـ لا.. لقد مات وأنا في الرابعة عشرة.

ـ أتعشين بمفردك؟

ـ لا.. مع أمي. أنا وهي...

صمتت لأنها أدركت أنه يستدرجها للكلام.

ـ سيفيدك البقاء هنا قليلاً، والذهاب إلى الصيد.

ـ ولماذا تدعوني إلى البقاء؟ أنت لم ترغب في وجودي هنا

www.elromancia.com

قبل... قبل...

ـ قبل أن أكتشف أنك لست ما تدعين؟ لا، أنت على حق... كنت سأطردك من هنا بأسرع وقت ممكن.

تنهد وتحول صوته إلى سخرية بالنفس:

ـ ربما أريد أن أعوض عليك.. ربما أشعر بنوع من المسؤولية... لا أدري.. أعتقد أنني أحب أن أتأكد أنك بخير.

ـ سأكون بخير.

إنها ترفض اهتمامه بها، فقد يتحول اهتمامه هذا إلى تعقيد هي بغنى عنه.. على كل الأحوال، هذه فكرة مغرية... البقاء هنا أو الخروج إلى الصيد، سيكون تأخيراً للحظة الضغط والدموع والجدال.. وسيكون هروباً مفروضاً، وليس طويلاً. ولكنه وقت كافٍ لتعيد قوتها مجدداً وتتمكن من مواجهة الموقف.

ـ هل تظن..

وصمتت يتجاذبها الحذر والإغراء.

ـ أظن.. ماذا؟

ـ أيمكن لنا.. لو بقيت هنا غداً.. ان نبقى غريبين؟ أعني.. مجرد أن أكون هنا، دون أسئلة.

دفعها صمته للشعور أنها طفلة سخيفة، فقالت:

ـ اوه.. أنسَ الأمر! سأذهب.

ـ لا... أريد منك أن تبقي.. أنت تريدين ترك كل شيء خلفك لفترة.. وسأجاريك في هذا. على أي حال، لقد جئت إلى هنا للسبب عينه.

ـ هذا.. لطف منك.

ضحك ضحكة قصيرة: «ربما من السهل التعامل بلطف مع شخص غريب.. هل تشعرين بالبرد؟».

ـ ليس كثيراً.

اقترب من السرير وغطاها جيداً، ثم انحنى يلثم وجنتها برقة:

ـ استرخي الآن، ونامي..

سرى الدفء في جسمها، لكنها لم تستطع الاسترخاء لكثرة ما جرى معها اليوم من أحداث. أخيراً غلبها التعب، ونامت.

استيقظت فجأة تحس بدغدغة على خدها.. اتسعت عيناها وقد صدمها الوجه الغريب المنحني فوقها.

ـ بشرة رائعة.. أنت فعلاً امرأة جميلة خلابة حتى في الصباح... اشك في أنني رأيت من قبل مثل هذا الشعر الأشقر الحقيقي.. ما عدا على طفل..

طفل! هل عرفها؟ ارتفعت أصابعها إلى شعرها.. ليلة أمس لم يكن مسرحاً.. ومن المريح الإحساس بنعومته الآن.. لكن بدون التموج المقصود الذي يحيط بوجهها من الصعب التعرف إليها، على أنها «جانيس الطفلة».

أضاف: «وجنتان كلاسيكيتان وقسمات وجه كاملة، أما العينان الخضراوان فتكفيان لسرقة روح رجل.. ربما حضرت حورية بحر ليلة أمس».

أشعرتها لهجة التملك في صوته بمدى ضعفها، وتملك الخوف دماغها... ليلة أمس كانت مجنونة، متهورة لأنها كادت تضيع نفسها تحت سلطة غريب. ماذا لو لم يتوقف أمس؟ ماذا لو أراد تكرار التجربة؟ أمسكت بغطاء السرير وجذبته إلى ذقنها وراحت تفتش في الغرفة مع أن المنطق يقول لها أن لا هروب فوري منه.

سألت: «كم.. كم الساعة الآن؟».

وابتلعت ريقها ترطب حلقها الجاف.

ـ وقت الغداء تقريباً... وأنا لست ذئباً شريراً جاء ليوقظك. بل

elromancia.com

الواقع أن بإمكانك اعتباري شخصاً أليفاً... فقد وجدت ثيابك على الشاطىء وغسلتها لك.. انظري بنفسك.

وأشار إلى أسفل السرير، ثم أضاف:

ـ لكنها ملابس غير ملائمة للصيد.

الصيد! أطلقت جانيس ضحكة هستيرية.. لا بد أنها فعلاً كانت مجنونة لأنها فكرت في مثل هذا التصرف غير المسؤول.

ـ شكراً لك.. لكن يجب أن أرحل.. حقاً ستقلق أمي علي وستتساءل عن مكان وجودي.

ـ أشك في هذا.

علقت أنفاس جانيس في حلقها لأن القلق تحول إلى انذار.. ماذا يعني.. نظرت إليه بإمعان... كان الجينز والتيشرت يبرزان عرض منكبيه وعضلات أطرافه.. هذا مكان موحش بعيد، ولو أراد احتجازها..

ـ ستقلق أمي فعلاً... وإن لم أصل إلى المنزل هذا الصباح، فقد تتصل بالشرطة.

هز كتفيه ووقف، ينظر إليها بسخرية:

ـ ولماذا تقلق؟ سوف تستنتج ما هو طبيعي ولن تقلق كثيراً... ألم تذهبي إلى خطيبك ليلة أمس؟ دللي نفسك.. لقد تعرضت لصدمة، ولا يضير أن تأخذي يوم راحة.. كما أنك بحاجة إلى وقت للتفكير في المكان الذي ستقصدينه بعد هذا المكان.. سأذهب لأنظف السمك للغداء، هناك مكان راحة خلف غرفة الغسيل.. اغتسلي وارتدي ثيابك ثم تمشي قليلاً ولا داعي للعجلة.

راقبته يخرج من الغرفة.. أراح هدوؤه أعصابها. لا يبدو أنه يشكل خطراً عليها.. وتذكرت حديثهما ليلة أمس.. واجتاح جسدها موجة دفء...

ارتدت ملابسها بسرعة.. الآن وقت الرحيل. الرجل بعيد عن طريقها.. وأفضل ما تقوم به هو الخروج من الباب الأمامي، والعودة إلى سيارتها، ثم التوجه إلى سيدني. البقاء هنا مخاطرة.. فتحت الباب الأمامي، فتسلل نسيم خفيف إلى بشرتها كان مصدره البحر.. راحت عيناها تنعمان باللون الأزرق المتلألىء..

الرمل أبيض، والسماء زرقاء صافية ليس فيها غير طيور النورس. سحبت نفساً عميقاً... إنها رائحة التحرر من كل مساوىء المجتمع، فبماذا ستخاطر لو بقيت هنا؟ ليوم واحد فقط.. يوم واحد لن يضر أحداً.

الرجل لا يعرفها وهو ودود وعاقل، لم يفرض نفسه عليها البتة، وهو إلى ذلك أجفل وشعر بالقلق عندما عرف أنها ما تزال عذراء... وهذا إن دلّ فإنما يدل على رهافة مشاعره... وشخص كهذا لا يشكّل أبداً خطراً عليها لذا ستستمتع باصطياد السمك معه.

رحلت عيناها إلى الطريق الترابية حيث السيارة التي ما تزال واقفة عند حافة الشاطىء ليلة أمس وهو المكان الذي أوقفته فيها غير عارفة أن هذا الطريق يوصل إلى منزل.. لكنها ليلة أمس، كانت مشوشة بسبب الانفصال عن ستيڤنز.

ترددت بشأن عودتها... فإن بقيت فستكون مضطرة لمواجهة هذا الرجل الذي يبعث في قلبها مشاعر مضطربة غريبة عنها... فجأة شعرت بالجوع عندما شمّت رائحة طهو السمك، كان الباب الذي يؤدي إلى خلف الشرفة مفتوحاً.. فاقتربت منه بحذر، ولكنها فكرت أنه ما زال هناك وقت لتغير رأيها وتذهب.

كان الرجل واقفاً قرب طباخ غاز يراقب السمك في المقلاة... مرة أخرى صدمتها قوة رجولته... لم يكن نحيلاً كستيڤنز ولكنه رشيق وأنيق حتى وهو يرتدي ثياباً عادية، فلستيڤنز طراز خاص.. ولم تره قط

www.elromancia.com

مرتدياً جينزاً خاصاً بالعمل... أما هذا الرجل فيشعر بالراحة بثيابه.. وخطر لجانيس انه سيشعر بالراحة مهما ارتدى، لأن ما يجذب العين إليه ليست الثياب... بل الرجل نفسه، فحوله هالة من الثقة بالنفس تدل على أنه قادر على التعاطي مع أي شيء يقف في طريقه، إنه رجل تختاره أية امرأة ليكون رفيق دربها ولو على جزيرة مهجورة.

نظرت عيناه السوداوان فالتقطتا أثر ابتسامة.. عندئذ استرخى وجهه القاسي، وبدت ابتسامته غنية بالرضا.. وخفق قلب جانيس محذراً، لكن التهور عاودها مرة أخرى.

ـ رائحة لذيذة.

ـ لا شيء كالسمك الطازج.

ـ سأغسل يديّ.

ـ لا تتأخري.. إنه جاهز.

ـ سأعود فوراً.

لم تدرك جانيس أن قسمات وجهها مشدودة بابتسامة عريضة إلا بعدما لامس الماء يديها.. وأدهشها هذا.. لكن هذا أمر لا يدهش... لقد رمت خوفها في مهب الريح، وتشعر بخفة النفس... ستستمتع اليوم بهذا البحر الشاسع وليدر العالم من دونها.. العالم الذي سيلحق بها في النهاية.. هذا أمر حتمي، لا تطيق تجنبه.. لكن ليس اليوم.. وبرزت في خاطرها لوحة كبيرة «ذهبت لتصطاد السمك».

ضحكت وهي تجفف يديها.. انها جاهزة للفطور.. للغداء.. ولأي شيء.

* * *

٣ ـ وداعاً أرض الأحلام

كان السمك لذيذاً، طرياً... لذا أكلت جانيس بشهية وأفرغت الصحن مما فيه.

ـ أتريدين المزيد؟

رفعت بصرها إلى الرجل الجالس قبالتها.. كانت عيناه تبرقان بشيء من التسلية.. إنهما عينان جذابتان، سوداوان، ذكيتان، ومؤثرتان.

وضعت سكينها وشوكتها متنهدة اكتفاء:

ـ لا.. أكلت بنهم.. لا أذكر آخر مرة أكلت فيها هذا القدر من الطعام عند الفطور.

ـ كانت معدتك فارغة.

طقطقت الكرسي الخشبي وهي تستند إلى الخلف، لكن هذا لم يفزعها.. الكرسي متين وقوي كالطاولة الخشبية الخشنة الحفر، وكهذا الرجل الخشن التقاطيع. نظرت إليه بفضول وهو يشعل سيكارة.

ـ أتدخن كثيراً؟

نظر إليها دونما اكتراث:

ـ وهل لديك اعتراض؟

هزت كتفيها:

ـ لست في وضع يسمح لي بالاعتراض.. فهذا منزلك.

www.elromancia.com

نفث الدخان ببطء، ثم انفرجت شفتاه عن ابتسامة صغيرة.

ـ هذا صحيح.. أنا أستمتع بتدخين السيكارة بعد الأكل، لكنني لا أدخن كثيراً.. وأنت؟

وأشار برأسه يدعوها إلى علبة السكاير لكنها هزت رأسها نفياً.

سألها: «ماذا ترغبين أن تفعلي بعد الظهر؟».

أدهشها السؤال:

ـ ألن نذهب إلى صيد السمك؟

ـ المد لا يساعدنا.. سنحاول فيما بعد.

بددت لهجة الأمر الواقع في صوته، قشعريرة عدم الراحة التي استحوذت عليها.. والتفتت إلى النافذة، إلى المنظر الجميل الذي يعود عمره إلى عمر الزمن، منظر الرمل والبحر.

ـ أود السير على الشاطىء... هل هناك أصداف؟

ـ هناك بعضها.

ـ كنت أجمع الأصداف، ولدي رف كامل منها.

ـ أما زالت بحوزتك.

ارتدت إليه، مبتسمة ابتسامة أسف:

ـ لا.. حين مات والدي، بعنا منزلنا القديم وانتقلنا للعيش في المدينة، وفي ذاك الوقت أصرت أمي أن الوقت حان لترك الاشياء الطفولية وراءي.. ولأن الشقة التي اشتريناها صغيرة، تركت أغراضي هناك في منزلنا القديم، لكنني افتقدتها.. طالما أحببت صوت البحر، وهو ما أستطيع سماعه من الصدف.

ـ إذن ربما يجب أن تبدئي بجمع مجموعة أخرى.

وقف يلم الأطباق.

ـ سأذهب لأغسل هذه.. ثم ننطلق في طريقنا.

وقفت جانيس بسرعة:

ـ سأغسلها أنا. أنت طهوت الطعام.. قل لي فقط أين أضع العظام؟

لم يترك الأطباق، بل وقف ينظر إليها صعوداً ونزولاً مقوّماً إياها ببطء، فاحمر وجه جانيس.

ـ يجب أن أعيرك قميصاً قطنياً إذا كنت تريدين توفير هذه الثياب لما بعد.

ردت بهمس محرج:

ـ شكراً لك... أنت في غاية اللطف.

التوت شفتاه بسخرية:

ـ القميص ليس من الطراز الرفيع، ولكن سيحسن من مظهره وضع حزام حوله.. ستجدين القمصان في خزانة الأدراج، قرب السرير.

جعلتها سخريته بشأن «الطراز الرفيع» تنظر بحدة إليه وهو يخرج إلى الشرفة... فقد شكّت إنه عرف هويتها وهذا ما وتّر أعصابها، ودفعها للوقوف في مكانها حيث راحت أصابعها تتلاعب دون وعي ببنطلونها الحريري الشبيه بالتنورة. إن هذا القماش جيد النوعية، وتذكرت أنه غسله لها.. ولا بد أنه عرف جودته.. ولا شك أن هذا ما دفعه إلى هذا التعليق.. شعرت بالراحة فأسرعت إلى خزانة الأدراج حيث وجدت «تيشرت»، فخلعت ثيابها الرفيعة الطراز وارتدت قميصاً عادياً.

تعالت الضحكة إلى حلقها وعندما طالعها منظرها في المرآة.. كانت أكمام القميص تبدأ فوق مرفقها تماماً، وتنتهي عند الرسغين. وجدت حزاماً جلدياً لفته حول خصرها، جعل القميص فستاناً قصيراً بعيد كل البعد عن الاناقة.

ـ جاهزة!

استند إلى إطار الباب، والتسلية مسطورة على وجهه.. عرفت

www.elromancia.com

جانيس أنها تبدو سخيفة، لكنها لم تفهم، فاليوم لا يهم كيف تبدو. اليوم لا وجود لجانيس يونغ، أو جانيس الطفلة، ومكانها ستحل امرأة خالية من الهموم... ولو لوقت قصير، على أي حال. وطارت إلى الباب الأمامي تفتحه.. تناديه، وفي صوتها نبرة إثارة طفولية:

ـ فلنذهب!

سارا على الشاطىء والنورس يسبح في السماء فوقهما، وهي المخلوقات الحية الوحيدة على مد النظر.. كانت الريح تعبث بشعر جانيس وتجعله يتطاير إلى الخلف، وهي تركض أمام رفيقها.. لم تعِ البتة مدى الإثارة التي تمثلها.. كانت عيناها ثابتتين على صدفة كبيرة، لمحتها عند حافة الماء.

صاحت صيحة نصر وحملتها وكأنها تذكار ثمين:

ـ إنها صدفة جيدة!

ثم ابتسمت ابتسامة ترقب سعيدة ووضعتها على أذنها.. ولكم كان دويّ البحر فيها مميزاً، فتهلل وجهها بالابتهاج، وعقلها يستعيد صدى هذا الهدير المألوف.. نفضت الرمل عن كنزها الجديد راضية، ومسحته بقميصها.

قالت بحبور: «أترى! هل هي جميلة؟».

ـ أجل.. جميلة جداً.

حمل الاعجاب العميق في صوته نبرات جذبت جانيس بحدة من تأملاتها، فرفعت نظرها إلى عينيه لتجدهما غير مثبتتين على الصدفة التي في يدها.. للحظة طويلة تشابكت نظرتهما، وتصاعدت نبضات جانيس بصوت ارتفع أكثر من هدير البحر. لم يلمسها، مع ذلك أحست بلمسته، واقشعرت بشرتها، وأحست بضيق في صدرها يضغط حتى أصبح مؤلماً، وأدركت أنها تحبس أنفاسها، فسارعت تزفر، وأجبرت نفسها على الارتداد عنه، وسارت بضع خطوات ملؤها التوتر، قالت

بعدها متوسلة:

ـ أرجوك.. لا تفعل هذا.

ـ أفعل ماذا؟

لم يكن قد تحرك.. لكن عينيه السوداوين كانتا ترميان تحدياً يجب الرد عليه.

سحبت نفساً عميقاً لتهدىء صوتها:

ـ أخشى أن أضعف.

ـ لماذا؟

ـ تعرف السبب.. ثم أنا لا أحبك!

ـ أعرف أني غريب بالنسبة إليك.. إنما عليك ألا تخافي مني...

ارتجف جسم جانيس... واعترفت على مضض:

ـ أجل.. بالأمس شعرت أنك شخصية غير حقيقية.

قطب:

ـ شخصية غير حقيقية؟

ـ ألا ترى؟ بالأمس عندما بادلتك عناقك شعرت بأنك خيال كنت أحتاج إليه.

حدقت عيناه بعينيها لفترة لا نهاية لها... أخيراً أدار نظره إلى البحر، فأراح بذلك جانيس من توتر المواجهة.. وتمتم:

ـ خيال.

وضحك ضحكة صغيرة ساخرة.

ـ أمر غريب! فكرت أني أشياء كثيرة أما خيال فأبداً! ربما تظنين أنني خيال، لأنني انتشلتك من البحر كمن يصطاد حورية كما أعتقد.

انطفأت نار المشاعر في عينيه، فتنهدت جانيس راحة وابتسمت:

ـ لكنني لست حورية.

ـ لا.. بل أنت طفلة صغيرة.

www.elromancia.com

وخزتها التسمية، وارتجفت ابتسامتها.. ثم تذكرت الصدفة في يدها، فنظرت إليها وتنهدت.

ـ ربما هذا ما أحب أن أكونه اليوم. طفلة دون متاعب.

ـ إذن.. فليكن هذا.

أبهجها التساهل في صوته، فنظرت إليه ممتنة، فضحك ضحكة عميقة.

ـ ربما تكون البراءة نعمة... هل نكمل سيرنا؟ بإمكانك إعطائي أية صدفة تودين الاحتفاظ بها.

حمل الموج قطعة خشبية رماها البحر على الشاطىء. التقطتها جانيس، وأخذت ترسم مربعات متقاطعة على الرمال، وحاولت رمي صدفة إلى أبعد مربع في الزاوية، لكنها انزلقت إلى أبعد من الخط.. استعادها الرجل، ووقف مكان جانيس فصوب بدقة ثم رماها في منتصف المربع. وابتسمت له:

ـ لا تقل لي إنك كنت تلعب الحَجْلة.. وأنت صغير؟

ـ كنت ألعبها حين تدفعني أختي الكبرى للعب معها. كانت متسلطة رهيبة.

ضحكت جانيس: «لا أتصور أن أحد قادر على التسلط عليك».

ابتسم بثقة بالنفس:

ـ لكنني انتقمت منها في النهاية.

ـ غريب كيف تتبدل الأمور.. لم نعد نرى أولاداً يلعبون الحجلة اليوم.

ـ لأنهم داخل المنازل يشاهدون التلفزيون.. العالم كله يشاهد التلفزيون.. إنه أسهل من الحياة ذاتها.

ـ لكنك تفضل الحياة.

ـ أفضل أن أصنع بيدي ما يسعدني.. أجل.

وهو بارع في صنع السعادة.. لكن جانيس سارعت إلى كتم الفكرة.. إنها تحب صحبته، فهو رجل سهل المعشر، ولا تريد أن تفكر أبعد من هذا.

ـ فلنتنعم بأشعة الشمس قليلاً.

لم ينتظر موافقتها، ومدّد نفسه على الرمال الساخنة قريباً من الماء... فجلست إلى جانبه ورفعت ركبتيها تحتضنهما، أما هو فوضع يديه خلف رأسه وأغمض عينيه. ثم سأل:

ـ ماذا تفعلين للمرح والاسترخاء؟

ـ ليس لدي وقت كافٍ... أحب القراءة.

ـ قراءة ماذا؟

ـ كتب الشعر في معظمها.. يمكنك الإمساك بها ثم تركها، ثم الإمساك بها دون أن تفقد خيوط أفكارها كقصة.

ـ وهل سافرت؟

ـ لا.. ليس بعد. مع أنني سأسافر.. وأنت؟

ـ كثيراً.. وكثيراً جداً. إلى أماكن عديدة ورأيت الكثير من الناس.

نظرت إليه بفضول.. لكن جفنيه ظلا مغمضين، ووجهه بقي مسترخياً لا يكشف عن شيء.

ـ ألهذا استقريت هنا؟

عندما لم يرد حوّلت بصرها إلى البحر المترامي إلى ما لا نهاية.. ثم قال:

ـ أحب المكان هنا. إنه هادىء طبيعي لم يفسده شيء.

وافقت بصوت حالم:

ـ أجل.. وكأننا على جزيرة غير مأهولة.. والمدينة بعيدة كل البعد عنا.

ضحك بصوت منخفض:

www.elromancia.com

ـ مثل آدم وحواء.

نظرت إليه نظرة قلق لكن بريق عينيه كان شيطانياً!

ردت بخفة:

ـ هذا ما قد يدعو إبليس لدخول الجنة.

ـ ابتعد عني يا إبليس.. هل أنت مؤمنة؟

ـ أؤمن بالقيود التي يفرضها الدين.

ـ عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به؟

ـ أجل.. ومن الخطأ أذية الناس.. قلة الشرف، الكذب، والخداع.

عادت صورة ستيفنز بحدة مريرة إلى ذاكرتها.. وجاءها الأمر الحاد:

ـ انسيه! وأخبريني أين تحبين أن تسافري؟

تكلما عن بلدان أخرى، عن شعوب أخرى، وعن طرق أخرى للحياة.. ولأن الحديث الدائر لم يكن شخصياً ابتعدت عن ذاكرتها الأفكار التي كانت تزعجها.. أخيراً تحرك الرجل، ووقف.

ـ سأذهب لأسبح.. هل تأتين معي؟

هزت رأسها رافضة: «لا أريد..».

ـ من غير المحتمل أن تنشنج ساقاك مرة أخرى.. فالمياه لن تكون باردة في حرارة الشمس، ثم إنني هنا لأعتني بك.

توقف هنيهة ثم ارتدّ عنها وتوجّه نحو البحر تاركاً إياها لتقرر ما تريد.. وراح يخوض عباب الماء حتى وصل إلى أماكن عميقة فغاص فيها.. راقبت جانيس رأسه الاسود يرتفع ويهبط.. بدت المياه مغرية، والشمس حارة.. إنها تريد أن تسبح، وتشعر ببرودة المياه على بشرتها.

رفعت نفسها للوقوف ثم ركضت نحو الماء لتسبح.. هناك أحست أنها تتنعم بالحياة، وتركت نفسها تغوص.. مستمتعة بروعة المياه.

ولكن يداً أمسكت ذراعها ورفعتها إلى الأعلى... فتلعثمت وهي تحتج:

ـ أنا بخير.

ـ كنت أتأكد ليس إلا... اتركي رأسك فوق الأمواج، ليطمئن بالي.. ممكن؟

ـ حسناً.

لم يقترب كثيراً منها.. لكنه ظلّ على مسافة قصيرة.. وسبحت جانيس وطافت واستمتعت، ولكن عندما شعرت ببشرتها تنكمش، اتجهت نحو الشاطىء.

ـ اكتفيت؟

ـ أجل.. بدأت أحس بالبرد.

أبقت ظهرها نحوه.. لهذا لم ترَ الموجة الضخمة التي لحقت بها وطرحتها أرضاً وقلبتها.. ولكن ذراعين قويتين رفعتاها وأمسكتا بها ثانية فراحت تسعل.

ـ أنت تصبحين أحياناً بلهاء حقاً.. ألم تريها قادمة؟

أخذت تسعل وتسعل:

ـ لا.. لم أكن أتطلع.

قال مازحاً: «هل أنت بحاجة إلى «قبلة الحياة»؟

نظرت إليه مؤنبة، لكنها لم تعد تستطيع انتزاع نظرها عنه.. فقد أسرتها قوة جاذبيته، كان ضخماً قوياً مسيطراً. عندما رفعت نظرها باندهاش إلى وجهه رأت ابتسامته تموت، وخرج نفس عميق طويل من بين شفتيه كصفير... اليدان اللتان تثبتانها، تحولتا إلى قبضتين متملكتين.

تقدم إليها.. كان التلامس الخفيف أشبه بصدمة كهربائية. فانتزعت نفسها بعيداً.. ورفعت يديها تدفع صدره لكنه ظلّ يمسك بها فأحست

www.elromancia.com

أن دفاعاتها التي جاهدت لتبنيها انهارت...

نظرت إلى الوجه الذي يعلوها وكأنها تبحث عن تفسير يبرر هذا الشوق الذي يعذبها. إنها لا تعرف شيئاً عن هذا الرجل، مع ذلك، يستطيع تحريك مشاعرها بشكل لم تعهده يوماً.

كانت عيناه تأمرانها بالخضوع وتشتعلان بنيران النصر، أو ما يقارب النصر، وأحست جانيس أنها غير قادرة على المقاومة..

تكسرت موجة عليهما وهما متعانقان، ففرقتهما عن بعضهما بعضاً.. وأخذ الماء المتراجع يسحب قدميها، ويسير على ساقيها..

تعلقت به وغرقت في بحر من المشاعر المتلاطمة واجتاح الدفء كيانها فأذاب روحها... قوته الآن هي قوتها... يجمع بينهما إحساس من الأمان. وظلا لفترة متعانقين، لا يتحركان إلا مع تحرك الموج اللطيف.

ـ ابقي معي..

تسلل الهمس الأجش إلى عقلها المخدّر.

أضاف: «انسي العالم كله.. وابقي هنا...».

أرادت جانيس أن يبقيا بعيداً عن الواقع.. لكن، حتى وهي تستجيب إلى السحر الذي يشبكها به، عرفت أن هذا يجب أن ينتهي.

لقد خطت خطوة واسعة بعيداً عن دافع وجودها.. إنّ استسلامها لهذا الرجل سيكون تصرفاً غريباً عن طبعها وسيُفقدها احترامها لذاتها... البقاء مع هذا الرجل سيكون محاولة لإطالة حلم. والحلم لا يمكن أن يدوم إلى الأبد.. عاجلاً أم آجلاً ستسود الحقيقة والواقع، وسينهار الحلم.

ـ يجب أن أعود.

كانت همسة حزينة، واشتدت ذراعه حولها.

ـ دعك من كل شيء... ما نحن فيه حقيقي أكثر من أي شيء

ستجدينه هناك.

أسندت رأسها إلى كتفه... الاغراء كبير... مع ذلك فلديها حياتها العملية والوقت الضائع أسوأ عدو لعارضة أزياء، عليها أن تعود... دارت نظرتها ببطء حول الخليج، حتى استقرت على الكوخ الخشبي.. إنه مكان للراحة، لقد حاول الرجل مداواة جراحها العاطفية.. لكن هذه أرض الأحلام.. وقد حان وقت الرحيل.

ـ شكراً لك.. لكنني لا أستطيع البقاء، لدي التزامات، مقابلة أشخاص، وترتيب حياتي من جديد.. كنت بغاية اللطف معي وقد تفهمتني.. وأنا شاكرة لك كثيراً.

كانت تنسحب، وعرف هذا.. الاحساس بأن كل شيء بينهما انتهى كان ظاهراً ومؤكداً.. للحظة حسبته لن يقبل قرارها.. فقد أمسك وجهها بين يديه، وثبّت عينيه في عينيها.

ـ يجب أن تعودي؟

كان تحدياً لا سؤالاً... يفكر بضرورة رحيلها، ويفتح أمامها باب الاختيار.

أحست جانيس بالإغراء.. لكن قوة جاذبيته خلقت الذعر في نفسها.. البقاء معه يعني أن ترمي عرض الحائط بكل ما نشأت عليه وتتخلى عن كل الخيوط التي تشكل حياتها.. إلى ماذا سيقودها هذا؟ وماذا سيحل بها؟ إنها مقامرة لن تتمكن من المخاطرة بها.. مع ذلك فكرة الرحيل أصبحت فجأة مؤلمة جداً.

ـ يجب أن أرحل.. آسفة.

ـ لا تأسفي.. أنت حرة للذهاب.. كنت حرة طوال الوقت.

ـ أجل.. أعرف.. لكنني...

ارتفعت يده تلمس وجهها بأصابعه.

ـ كانت رفقتك جميلة.. فلا تأسفي على شيء، هل تريدين الرحيل

www.elromancia.com

الآن؟

هزت رأسها إيجاباً.. إنه يسهّل الفراق عليها، كما سهّل لها كل الأمور من قبل.. لقد قررت الرحيل بسرعة ومع ذلك لم تستطع دفع ساقيها للحركة، فهي تحس أنها دمرت شيئاً ثميناً، شيئاً ذا قيمة قد لا تجده مرة أخرى.

أمسك يدها وجرها معه ليساعدها.

ـ لن تمانعي إن لم أرافقك إلى الكوخ؟

أصبح الفراق كاملاً.. وسارت جانيس على الرمال.. تتعذب بقرارها مع كل خطوة. لقد أتت إلى هذا الشاطىء لتهرب، ولقد هربت لكن هذا الهروب بطريقة ما ذهب بعيداً ليغير حياتها كلها.. عندما كانت تسير إلى الكوخ، أحست بأنها ضائعة وبأنها عالقة بين عالمين مختلفين، لا تنتمي لأي منهما.. مع ذلك تطالبها تقاليدها وعاداتها بالعودة إلى ما كانت تعرفه..

بدا الكوخ فارغاً دون الرجل.. إنه فعلاً مكان مريح، وبدائي.. وهو نقيض صارخ لمنزلها الفخم.. أسرعت نحو الفراش ولم تحتج إلا لدقيقة حتى ترتدي ثوبها الحريري.. توقفت عيناها لحظات حيث عانقها بلطف وشغف ثم تركها لتنام.. مرة أخرى أحسّت بألم الفراق وترقرقت الدموع في عينيها، فتحركت كالعمياء نحو الباب، تُبعد الذكرى عنها.. سحبت نفساً طويلاً مهدئاً، ثم خرجت منطلقة في الطريق.

كان واقفاً قرب السيارة... وسرواله الجينز ملتصق بعضلات ساقيه، رفع يده نحوها مبتسماً:

ـ «صدفتك»... أعتقد أنك ستحبين الاحتفاظ بها.

أخذتها منه والغصة تمسك بخناقها:

ـ شكراً لك.

ـ جانيس.. إذا أردت العودة..

ما إن نطق باسمها حتى توقف قلبها عن الخفقان.. وأصمّت الصدمة أذنيها عما كان يقول.

ـ ناديتني جانيس؟

لم يفكر ولكنه عبس ولاح التوتر على وجهه، فصاحت باحتجاج متألم:

ـ تعرف من أنا!

ـ وماذا في هذا؟ ماذا يهم؟

لكنه يهم لها.. فهي لم تكن غريبة له، لم تكن مجرد فتاة تعرف إليها صدفة.. لقد عرف أنها جانيس يونغ.

ـ متى عرفتني؟

ـ ليلة أمس ونحن جالسان حول الطاولة.. وجهك مشهور.. وتعرفين هذا.

ليلة أمس.. وأحست بضربة حادة في معدتها. وعادت ذاكرتها تراجع تسلسل الاحداث.. لقد عاملها بطريقة متوحشة بعدما أخرجها من البحر... لكن قبل أن تتوجه إلى الفراش مباشرة تغيرت تصرفاته.. وأحست بالغثيان... فكل اللطف والحب كانا لجانيس يونغ.. جانيس الطفلة...

سألت بمرارة:

ـ وماذا أملت أن تكسب من وراء كل هذا؟

ـ أكسب؟

زادت الدهشة في صوته من خشونة إذلالها.

ـ آه! لا تتظاهر أنك لم تتوقع كسب شيء! كانت لعبة عظيمة.. أليس كذلك؟ لقد أعطيتني الحبل لأشنق فيه نفسي.

قطب، وحيرته الظاهرة زادت من فقدانها لتعقلها:

ـ لقد عرفت من أنا... لم يكن يهمك أنني مرهقة، مستنزفة عاطفياً، ومع ذلك أردت استغلالي. لا أشك أنك كنت تظن أنني وسيلة كسب لك يجب أن تتمسك بها.. أتراك تريد أن تؤلف قصة حمراء وهمية لتبيعها؟

اشتدت تقاسيم وجهه، ثم قست خلال هجومها الجنوني. انتظر حتى نفدت جعبتها من الكلام ثم تكلم ببرود قاطع:

ـ جانيس يونغ.. أو جانيس الطفلة، ليست مهمة عندي.. آخر ما أريده أو أحتاجه هو امرأة تعيلني.. فأنا قادر على الإنفاق على حياتي دون أن أبيع قصص فضائح..

صمت.. لكن جانيس كانت ساخطة سخطاً جعلها لا تعي الخطر الكامن في عينيه، وخرجت من حلقها ضحكة سخرية خشنة:

ـ يا إلهي! لا شكّ أنني بدوت لك هبة من السماء! لقد قصصت عليك مشكلتي بالتفصيل.. ولكن أنذرك أنك ستجلب على نفسك المتاعب إن حملت قصتي إلى صحيفة فضائح صفراء.. سأنكر كل شيء.. وإذا جئت خلفي سوف...

صفعها..

نظرت إليه، فاغرة فاها وغطت يدها اللسعة الحارة على خدها.

ـ أيتها العمياء.. الحمقاء!

أفزعها غضبه أكثر من صفعته، فارتدت إلى الخلف حيث السيارة وخافت من العنف القادم.. ولما رأى ذعرها التوت شفتاه باشمئزاز من خوفها، وطعنتها العينان السوداوان بازدراء.. أشار بيده دون اكتراث يصرفها عنه بحدة وكأنها لا تستحق اهتمامه ثم ارتدّ على عقبيه، وبدأ يسير مبتعداً.

ـ عودي إلى ديارك.. أيتها الفتاة التافهة!

لم يزعج نفسه بإلقاء نظرة إلى الوراء، لكن السخرية المتوحشة في

كلماته وصلتها بالتأكيد، واستفاقت جانيس من دوارها المصدوم.. واستفاقت في نفسها مجموعة مشاعر متشابكة مريرة.

صاحت: «أنت.. أيها النذل؟».

ورمته بالصدفة متألمة محبطة، لكن هدفها ضاع بعجز.. وبقي سائراً دون تردد.. عندئذ أدركت أن لا جدوى من إهراق المزيد من الطاقة على رجل يتجاهلها. دخلت مقعد السائق وأدارت المحرك بغضب بارز، وأطلقت السيارة نحو المنزل.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ ثورة طفلة

فتاة تافهة.. حقاً! كم كانت بلهاء عندما سمحت لغريب بمعانقتها! اللعنة على هذا الرجل!

تذكرت بوضوح لاذع قوله «الطراز الرفيع»، واستخدامه المتعمد لكلمة طفلة. لقد خدعت بسهولة.. حمقاء ساذجة، أرادت أن تصدق أن سرها في أمان. كان يجب أن تعرف ليلة أمس حين توقف عن اعتبارها مصدر إزعاج.

جانيس يونغ! «الطفلة»! كان يعطي حبه وعطفه للصورة وليس للمرأة. الفتنة القديمة قدم الزمان ما بين الصبي والفتاة، هذا ما صوره لها ستيڤنز.. ونجح في هذا. المزيج المزعج لبراءة الصغار وإثارة النضوج، هذه الصورة نجحت كثيراً وأنتجت ربحاً وفيراً.

لا عجب أن الغريب دهش عندما عرف أنها عذراء! فلا شك انه كان يؤمن أن كل العارضات عابثات... وصحيح أن التحرشات عادية في مهنتها، ولكنه لا يعرف أن أمها وستيڤنز طالما حمياها من أمثاله من الرجال.

لسعت الدموع عينيها.. لقد أخبرته بقصة حياتها بإسهاب وتركت مشاعرها تغدر بها.. صرّت على أسنانها لمنع شهقة بكاء تكاد تبرز عبر الضيق في حلقها.. لن تبكيه.. لقد خدعها لسبب ما، لا تعرفه ولا تريد أن تعرفه. يجب أن تنساه، غداً تضع الحادثة كلها خلفها وكأنها لم

تحدث.. يجب أن تتابع حياتها الطبيعية.. ولكن ليحدث هذا يجب أن تصل إلى منزلها أولاً.

أجبرت نفسها على التفكير في ما هو قادم.. عليها أن ترضي أمها، لكنها لا تستطيع تفسير سبب غيابها الطويل.. ثم هناك ستيڤنز.. ولكن مجرد ذكره في ذهنها، حرّك كل مشاعر الكره تجاهه.. مع أنها تعرف أن قطع كل صلة به أمر صعب سيؤثر في مهنتها، ومع ذلك ستقطع هذه العلاقة... فالكبرياء واحترام الذات يفرضان عليها هذا.

ركزت على وضع الخطط للمستقبل، وبالتدريج هدأت القيادة أعصابها المتوترة.. وكان الوقت ظلاماً تقريباً حين أوقفت السيارة اخيراً تحت مبنى الشقق.. لاحظت نظرتها المتعبة وجود سيارة ستيڤنز في موقف الضيوف. كانت تحسّ بالارهاق العاطفي والجسدي لذا لم تستطع أن تتحمل فكرة مواجهته وها هو الغضب يثور ويثور في أعماقها.

ترجلت من السيارة ثم سارت نحو المصاعد وهي تنظر إلى سيارة ستيڤنز بقرف.. تساءلت كم بقيت متوقفة هنا، وماذا قال لأمها. بالتأكيد لم يقل الحقيقة، لأن حتى ايڤلين يونغ الحديدية لن تهضم الحقيقة. الكثير من الأشياء يمكن أن تُهضم في الطريق إلى النجاح، لكن هناك حدود لما يمكن أن يبتلعه المرء. ولقد تعمدت إيڤلين يونغ حث ستيڤنز على الاهتمام بجانيس، لكن حتى هي، يمكن أن ترى أن زواجهما مستحيل.

استدعت جانيس المصعد، ودخلته وضغطت بشكل آلي على الزر الموصل إلى طابقها. صدمها فجأة أنها تفكر بستيڤنز دون ألم، بل بقرف وازدراء.. إنها الآن هادئة بشكل عجيب.. وكأن المنظر البشع في شقة ستيڤنز حدث منذ سنوات طويلة، ولشخص آخر.. توقف المصعد بحدة، وانفتحت الأبواب. هزت جانيس نفسها داخلياً وخرجت ولم

يكد مفتاح شقتها بلمس القفل، حتى انفتح الباب.

ـ جانيس!

ضمت ايڤلين يونغ ابنتها:

ـ لقد عدت! شكراً لله! كدت أفقد عقلي قلقاً عليك.

ولكن قطع هذه اللهفة عبوس ستيڤنز.

ـ انظري إلى هذه الملابس الجميلة! ماذا كنت تفعلين طوال الوقت؟

لم ترد جانيس. كان ستيڤنز يتقدم نحوها، ووجدت نفسها تنظر إليه بطريقة متباعدة غريبة، إنه ستيڤنز نفسه الذي ظنت أنها تحبه... ستيڤنز صاحب البشرة الحمراء الذهبية، والشعر الأشقر الاملس والوجه الوسيم والجسد الرشيق الأنيق الملبس كما دائماً... طبعاً! إنه يتعامل مع الصور... متخصص في الصور الزائفة... تماماً كما كان حبهما المزعوم الرومانسي زائفاً.

ـ جانيس.

تراجعت عن يديه الممدودتين، فلوّح بهما في إيماءة استرضاء وقال بصوت منخفض:

ـ ما كان يجب أن تسارعي للخروج بتلك الطريقة.

كان يكلمها وكأنها طفلة تصرفت دونما تفكير!

أجفلتها لهجته ووترتها فهي تعرف أنها لهجة يستخدمها وأمها حين تكون صعبة المراس. كانت تستسلم لهذه اللهجة غالباً، باعتبارها أكبر منها سناً وأكثر حكمة، ولكنها لن تستسلم بعد اليوم... صرت على أسنانها، وارتدت إلى أمها.

ـ آسفة أمي.. كان يجب أن أتصل وأبلغك قبل أن أبيت ليلتي خارجاً.. لقد تصرفت بشكل أناني، لكنني احتجت إلى الانفراد بنفسي لأفكر.

بدا صوتها بارداً وهادئاً، وواثقاً... هل غيرتها الساعات الأربع والعشرين الأخيرة إلى هذا الحد؟

أظهرت إيڤلين يونغ دهشتها بسبب نبرة ابنتها المشحونة بالثقة والثبات:

ـ حسناً.. لا بأس ما دمت سالمة، لكن ثيابك عزيزتي.. لقد أفسدتها، لن تعود كما كانت..

ـ أهذا كل ما تستطيعين التفكير فيه أمي؟ ثيابي!

وخرج منها كل السخط المخزون لسنوات:

ـ كل حياتي ثياب، ثياب، ثياب! لا تلعبي، ستوسخين فستانك.. اجلسي مستقيمة، ستتجعد تنورتك.. ما أنا؟ دمية أم ابنتك؟ هل فكرت يوماً أن هناك إنساناً يعيش داخل تلك الثياب التي تضعينها علي؟ هل فكرت في هذا أمي؟ هل تهتمين حقاً بما أشعر به الآن؟ أم أن الثوب الحريري أهم من هذا لديك؟

عارضت الصدمة الظاهرة على وجه الأم التأنيب في صوتها.

ـ جانيس! أنا قلقة عليك بالتأكيد.. لكن ثيابك تكلف كثيراً.. وتعرفين هذا!

ـ أجل أعرف..

وعرفت كذلك أن لا طائل من الصياح بوجه أمها.. فستبقي للمظاهر الأولوية عند إيڤلين يونغ.. شعرها الأشقر المائل إلى لون الرماد كان مسرحاً على الطراز الفرنسي.. وكان الماكياج الفني يخفي التجاعيد الصغيرة التي تظهر على الوجه الجميل... وللمرة الأولى أحست جانيس بالأسى على أمها.. فإيڤلين يونغ لن تعرف أبداً بهجة التحرر من كل ثوابت المجتمع.

ـ حسناً.. لن أرتدي هذا الثوب مجدداً أمي، لذا سجليه على أنه خسارة في دفتر حساباتك.

www.elromancia.com

لقد قررت التخلص من عادة الانصياع إلى ما تمليه عليها أمها.. إنها إنسانة لها كل الحقوق، ولم تعد طفلة صغيرة يحدَّد لها ما تفعل أو ما لا تفعل.

أدارت وجهاً بارداً إلى ستيفنز الذي تراجع مبتعداً عن النار.

ـ لم أتوقع أن أجدك هنا.. وبما أنك هنا، فمن الأفضل استغلال الفرصة لتسوي كل شيء الآن.

حذرتها أمها:

ـ جانيس.. لا تتعجلي باتخاذ القرار. لقد كان ستيفنز متكدراً بسبب الجدال الذي دار بينكما ليلة أمس.. وأنا واثقة..

ـ جدال.. ستيفنز؟

سخرت عيناها الخضراوان من مراوغته، وانتشر الاحمرار من أسفل عنقه إلى الأعلى مما جعله يبدو كفتى صغير غُرّ.

ـ جانيس.. دعيني أشرح لك..

ـ لا ضرورة للشرح... علاقتنا انتهت ستيفنز.. وإلى الأبد.

قست تعابير وجهه وبدا التهديد على ملامحه.

ـ أنت بحاجة إليّ جانيس.. فمن دوني..

قاطعته بصوت ساخر:

ـ ساحتاجك كما أحتاج إلى الجحيم!

قالت أمها: «جانيس! هلا أصغيت إلى المنطق بحق الله...».

ارتدت جانيس إليها:

ـ لا! لن أصغي إلى المنطق اللعين لأستمر معه.

وابتعدت عنهما بنفاد صبر.. لقد زُرعت بذور التمرد في نفسها على شاطىء بعيد عن هنا، ولكن هذه البذور نمت بسرعة في جو هذه الغرفة الخانق... جلست دون اهتمام على أحد المقاعد الطويلة في غرفة الجلوس.. ووقفت بوجههما بثقة بالذات.

www.elromancia.com

وان صمت مرعب استطاعت أمها خلاله استيعاب التحدي والتصميم اللذين أظهرتهما جانيس، ونظرت بقلق إلى ستيفنز، ثم ارتدت لابنتها تسترضيها.

ـ جانيس.. عزيزتي.. الواضح أنك مرهقة..

ـ بل على العكس، فكري صافٍ كل الصفاء وأشك أنني رأيت يوماً الأشياء أوضح مما أراها الآن.. إذا احببت أن تجلسي أمي.. فسأخبرك ماذا يجول في فكري.

تلاشت الابتسامة وتنهدت اقلين يونغ التي التفتت معتذرة إلى ستيفنز وكم كرهت جانيس تلك النظرة، لكنها لم تعترض.. قالت الأم وهي تلعب لكسب الوقت:

ـ سأعد القهوة.. هل ترغبين في شيء تأكلينه عزيزتي؟

ـ لا.. شكراً، ولا أريد القهوة، أنا متعبة وأفضل أن يخرج ستيفنز من هنا.. فوراً.

تقدم ستيفنز بعدوانية وبدأ يقول:

ـ اسمعي الآن، جانيس..

ـ أنا أسمع ستيفنز.. لقد رأيت الكثير.. ولا أدين لك بأي شيء!

ـ أنا صنعتك!

ـ صنعتني كما تريد، فهل من المفترض أن أكون ممتنة لهذا؟ كانت الصورة ناجحة. ولقد كسبت منها بقدر ما كسبت أنا.. أما الآن فالشراكة فسخت.. يوم الاثنين سأعطي اسمي لأفضل الوكالات في المدينة، وسأجرب حظي معهم.

اعترضت أمها:

ـ جانيس هذا غير منطقي.. لقد كان ستيفنز..

التفت جانيس إليها وعيناها تبرقان بتحذير ناري.

ـ أمي! لقد انتهيت من السماح لكما بدفعي بطريقتك أو بطريقته.

أنا الآن في الثانية والعشرين الآن.. ولي آرائي الخاصة، وأنا أنوي فعل ما أريد.. أشكركما على ما أوصلتماني إليه من نجاح ولكن هذا لم يكن لصالحي بقدر ما كان لصالحكما.. أنتما أردتما النجاح أكثر مني.

نظرت أمها إليها وكأن ابنتها أصبحت غريبة، ثم هزت رأسها وتهاوت إلى أقرب مقعد.

- لا أفهم ماذا حصل لك جانيس.. لماذا تتصرفين هكذا؟ أنا أمك، ولم أفعل يوماً إلا ما هو الأفضل لك.

قالت جانيس برقة لأن الحقيقة يجب أن تقال:

- أعرف أنك تعتقدين هذا أمي، المشكلة أن ما تظنينه هو الأفضل لي، ليس ما أظنه أنا. لقد حان الوقت لتتوقفي عن العيش من خلالي. يجب أن أحيا حياتي الخاصة.. لم أعد طفلتك الصغيرة أمي.. أنا الآن كبيرة.

للحظة حادة تحول تفكيرها إلى مكان آخر... رمل وبحر، ورجل قاس.. وبدا لها أنها بحاجة إلى جهد مركز لتدفع عنها الذكرى.

صاح ستيفنز بغضب:

- كبيرة! ولكن إدراكك إدراك طفلة! أنت لا ترين شيئاً بوضوح أبداً.. غرورك بلغ الذروة... تظنين أنك قادرة على الانطلاق وحدك.. صوري أنا هي التي صنعتك.. أتظنين أن أي مصور قادر على التقاط التأثيرات ذاتها؟

ردت برقة دون أن تهتم بثورته:

- سنرى هذا.. أليس كذلك؟

التوى وجهه الوسيم قرفاً:

- يا الله! لولا براءتك وغباؤك لعرفت أين هي مصلحتك... حقاً نستطيع الوصول إلى القمة، ولا أعني هنا.. نيويورك.. لندن... باريس..

اغرورقت العينان الخضراوان بالاشمئزاز:

- لا! أنا لست بريئة إلى هذا الحد ستيفنز. والشكر لك.. وأنا أفضل السمن النباتي على الزبدة التي تعرضها عليَّ... ابحث عن فتاة أخرى تشكلها على الصورة التي تريد.. أنا غير حاضرة حتى ولو كان ذلك يعني الوصول إلى نيويورك أو لندن أو باريس.

صاح ساخطاً: «تقطعين أنفك نكاية بوجهك!».

- إنه وجهي.

جعله عنادها البارد يصرّ على أسنانه غيظاً.

- ستعودين إليّ زاحفة حين تجدين نفسك فاشلة.

- لا تعتمد على هذا.

قال بحدة: «من السيء أن تحرقي الجسور قبل أن تقطعيها جانيس... أرى أن المنطق الآن لن يجدي نفعاً ولكن حاولي الطيران من دوني قليلاً... وانظري إلى أين ستصلين».

تقدم إلى الباب، ثم ارتدّ إليها مبتسماً ابتسامة مريرة:

- أسامحك على جحودك نحوي، حين تعترفين أخيراً أنك مخطئة.

امتنعت جانيس عن الرد، وشعرت بالراحة لأنه رحل.

قالت اقْلين يونغ مؤنبة:

- إنه على صواب جانيس.. أنت لا تدركين أبداً...

- ألا أدرك أمي؟ إذن، يجب أن أكتشف هذا بنفسي.

مدت الأم يديها تسترضي ابنتها.

- جانيس.. فلنتحدث عما جرى.

عرفت جانيس اللهجة المراوغة من تجارب قديمة.

- لا.. قلت كل شيء أمي، وعنيت كل كلمة قلتها. سأستحم الآن، وفيما بعد، إذا أردت الكلام فستكلم.. إنما ليس عن ستيفنز..

وفيما كانت مستلقية في الحوض الدافىء، تسللت ذكرى مياه

www.elromancia.com

أخرى إلى تفكيرها، وتركتها تطوف كما تشاء... من حسن الحظ أنها قررت تركه قبل أن تضع نفسها تحت سلطة ذاك الرجل حيث لا مجال للتراجع. لقد تعمد خداعها، ومهما كان الدافع لهذا فهناك شيء واحد مؤكد: لا يمكنها أن تثق به!

أخرجت نفسها من الحوض، وجففت نفسها ببطء، وهي تتساءل كم سيطول الوقت قبل أن تنسى السحر الذي أحدق بها وهي هناك على منزل الشاطىء. ولكنها على الأقل، خرجت من التجربة دون مخاطرة.

اشتد ضغطها على شفتيها وهي تفكر بستيڤنز الذي لن تزحف إليه أبداً.. أبداً.. ارتدت روبها المنزلي، وخرجت إلى المطبخ. إنها جائعة، ومستعدة للعراك مع أمها إذا لزم الأمر.

بدأت اڤلين يونغ تعامل ابنتها وكأنها شخص معاق بحاجة إلى رعاية وتساهل وقد أذهل هذا التكتيك جانيس. لكنها لم تقاومه فالزمن وحده سيظهر لأمها مدى تصميمها، ولسوف تعتاد أمها على وجود ابنة راشدة.. ولكن على طموحات اڤلين يونغ أن تبتعد عن جانيس وتتوجه إلى نفسها. إنها امرأة جميلة الطلعة، وما زالت شابة، وعليها القيام بشيء ما بناء في حياتها... لقد استحوذ عليها الجهد الذي تبذله لدفع ابنتها إلى الامام، ولكنها الآن بدأت الخطوة الأولى على درب الاستقلال، لذا لن تؤلمها أكثر بالاسراع بعيداً بهذه السرعة.

يوم الاثنين، ألغت جانيس كل ترتيبات الزواج، ثم أخذت حقيبة الصور إلى أرفع وكالات العارضات في سيدني.. ولكن حماسهم خبا عندما أعلمتهم أنها لن تعمل مع ستيڤنز دراسديل وظلت على إصرارها رغم محاولتهم إقناعها، فاسمها مرتبط باسم ستيڤنز منذ بداية عملها كعارضة... كانا فريق عمل! جانيس يونغ وستيڤنز دراسديل... ولقد ساورت الشكوك الوكالات في مسألة تسويق اسمها دون المصور الذي أعطاه خاصيته، وارتابوا أكثر حين قالت لهم إنها لا تريد المتابعة

بالاسلوب الذي ابتدعه لها.

جلبت الأسابيع التالية إليها الإحباط، فقد تلقت العروض التي رافقها دائماً شرط وهو أن يكون ستيڤنز وراء الكاميرا، وعندما رفضت كل العروض حذروها من أنها تنتحر مهنياً.. وبدأ اليأس يتسلل إلى نفسها، ولم تجد تعاطفاً في البيت.

كانت أمها تهاجمها بحدة، فقد وجدت أن جانيس ليست معاقة أبداً:

ـ هذا غباء وعناد!

لكن اڤلين يونغ ذاتها كانت أكثر عناداً، وصممت أن تعيد ابنتها إلى الطريق الذي خطته لها منذ سن المراهقة، وهي التي سعت لتعمل مع ستيڤنز.. ورغم معرفتها بأمر خيانته لابنتها فقد كانت على استعداد لإقناع جانيس بالعمل معه.. لكن جانيس تجاهلت ثرثرة أمها وإصرارها، ويوماً بعد يوم أخذت الوحدة تتسلل إلى نفسها.

كانت بين الحين والآخر تسترجع ذكريات ذلك اليوم الذي حافظ على سحره الخاص. رغم النهاية المريرة التي انتهى بها فهي غير قادرة على نسيان الرجل الذي كلما تذكرته عصفت بها مشاعر غريبة عميقة.. إنها لم تشعر بالوحدة وهي معه.. ولكنها لن تستطيع العودة فالأمور بينهما لن تكون كما كانت.. لا يمكن.. ليس بعد الطريقة التي انتهت فيها.. مع ذلك كان نداء البحر والرجل، قوياً بحيث كان قلبها ينفطر كلما تذكرت.

بدا لها أن ليس هناك طريقة لتغيير هذا كله! وأقنعت نفسها أنها تستسلم للحلم.. حتى لو قال الحقيقة، وحتى إن لم يكن لديه دوافع من وراء تكتمه على معرفة هويتها، وحتى لو زحفت إليه معتذرة، وأعادا إحياء المشاعر التي كانت بينهما.. ولو أن كل هذه الامنيات تحققت.. فلن يكون لها مستقبل حقيقي معه.

لم يعرض عليها مستقبلاً. قال فقط: ابقي معي.. وماذا يعني هذا؟ إلى كم من الوقت يمكن أن يعيش المرء بلا هدف؟.. يتنقل على الشاطىء، يصطاد السمك ويمرح.. ولكن لن يستطيع أحد تجاهل وقائع الحياة.. فهي بالتأكيد سترغب في الزواج، وفي إنجاب الاولاد. وحتى ذلك الوقت، يجب أن تجد عملاً وتكسب عيشها.. لكن، لم يكن هنا أي فرح في هذه الوقائع.. ليس كما أحست وهي على الشاطىء..

لم تتلق أي عرض من وكالات عارضات الازياء.. لذا بدأ مستقبلها المهني يتحول إلى ركود.. وظل ذلك حتى اتصل أحدهم فجلب ذاك الاتصال بصيص أمل.. كانت مستعدة للقبول بأي شيء، ولكنه لم يكن عرضاً ثابتاً.. فمؤسسة آشتون تطلب مقابلتها فقط، ولكن الطلب أظهر اهتماماً بها.. جرى ترتيب موعد بسرعة وأحست جانيس بدغدغات الاثارة.

مؤسسة آشتون هي من أكثر مؤسسات مساحيق التجميل شهرة في اوستراليا.. وكانت أشهر النجمات العالميات يقمن بالدعاية لمنتوجات الشركة، وإن كانت هذه المقابلة تعني أنهم يفكرون أن تكون جانيس فتاة آشتون التالية، فستكون فرصة العمر لها. إن اختاروها، فلن تفتقد للعروض في المستقبل.. وسيكون اسمها قد لمع ليس هنا فقط بل في الأسواق العالمية.

عندما جاء ستيڤنز دراسديل يزورها، تبين لها أن أمها هي التي دعته.. فواجهتهما معاً وصدتهما مع أنهما حاولا جهدهما إقناعها للإذعان للمنطق.

قال ستيڤنز بقوة لا ترحم:

ـ كوني عاقلة جانيس.. الدعاية هي كل شيء في هذه اللعبة... وإن لم يظهر وجهك باستمرار.. فستخسرين مهنتك.. ضعي جانباً

العامل الشخصي، واشتغلي معي على أساس المهنة فقط، أنت تخسرين أكثر مما أخسر أنا فعملي مطلوب دوماً.

دعمته الأم طوعاً:

ـ هذا صحيح عزيزتي.. كفاك عناداً...

ردت جانيس بالسلاح الوحيد في حوزتها:

ـ هل هذا صحيح؟.. حسناً.. قد يثير اهتمامكما أن تعرفا أن لدي مقابلة مع مؤسسة آشتون غداً، واستطيع أن أزيد أن هذا يعد بمستقبل لا يمكن لك أبداً أن تعدني به.

رد ساخراً: «المقابلة لا تعني عقد عمل».

لكن تأكده من أنها تحتاج إليه، أصبح مضعضعاً. ضغطت جانيس لمصلحتها.

ـ لكنك لا تعرف هذا.. صحيح ستيڤنز؟ سأحظى بفرصتي معهم.. شكراً لك.

نظر إليها بحقد وهو يقف:

ـ لن أعود مرة أخرى جانيس.

ردت ببرود: «لم نسألك المجيء».

أوصلته اقلين يونغ إلى الباب، ووقفا هناك يتمتمان معاً بسخط مشترك.. وما أن رحل، حتى ارتدت أمها إليها تهاجمها:

ـ لماذا لم تخبريني؟

ـ ولماذا لم تستشيريني قبل أن تدعي ستيڤنز؟

ردت بحدة: «كان على أحد أن يأخذ المبادرة لجمعكما».

ـ لا أريد منك أن توجهيني أو تتدخلي بشؤوني، أمي!

ـ أنت ترمين كل شيء في «البالوعة» بعنادك الغبي.

ـ لا أهتم لو حدث هذا.. لن أعود إلى ستيڤنز.

لكنها كانت تهتم.. ولقد أرادت يائسة فرصة لتثبت قدرتها على

شق طريقها بمفردها، فهي على أي حال، لا تعرف عملاً غير هذا. . والمستقبل يبدو لها غامضاً.

الاحساس باليأس ذاته، جرّ قدميها وهي تصعد الأدراج العريضة نحو مبنى مؤسسة آشتون في الصباح التالي. . يجب أن يعجبوا بها. . . ارتفعت عيناها إلى الاسم المذهب على البابين الزجاجيين الكبيرين. . إذا قررت هذه المؤسسة المشهورة المحترمة استخدامها، فالخوف الذي بدأ يعشعش في قلبها قد يزول. دفعت أحد البابين تفتحه ودخلت بهواً رخامياً بارداً، سقفه مرتفع مقوّس وفي البهو بركة فخمة ونافورة، وهي صورة عن منتجات آشتون المعروفة بفخامتها وارتفاع ثمنها.

نظرت جانيس بقلق إلى ساعتها. . أمامها عشر دقائق حتى موعد المقابلة. . ألقت نظرة على نفسها من خلال المرايا الموجودة على الحائط خلف النافورة. . فوجدت أن لون بذلتها الخضراء قد زاد من إبراز لون عينيها. . . وردت على نظرتها جانيس يونغ التي تعرف صورتها تماماً، والتي هي على أتم الاستعداد لهذه المقابلة.

كانت راضية عن مظهرها، لذا اتجهت جانيس بثقة إلى المصاعد، وضغطت الزر الموصل إلى طابق العلاقات العامة. كان يرأس هذا القسم مايكل ويذرس، وهو الرجل الذي ستقابله. . سحبت بضع أنفاس عميقة لتهدىء أعصابها المتوترة، وما إن انفتح الباب حتى رسمت على وجهها ابتسامة وللمرة الأولى أسعدها أن ترى وميض الحسد في عينيّ موظفة الاستقبال لأن ذلك رفع من معنوياتها.

حياها مايكل ويذرس بتحفظ هي غير معتادة عليه. . كان شاباً طويلاً، نحيلاً، أنيق المظهر كحال جميع المدراء التنفيذيين. . لم يكن وسيماً، ولكنه لم يكن غير جذّاب. في ابتسامته شيء من السحر، وقد برقت عيناه بالاعجاب سريعاً، إنه رجل يجعل النساء والرجال يشعرون بالراحة عندما يكونون معه.

قال بأدب وهو يجلسها في مقعدها:

ـ آنسة يونغ. . كنت أتوق لمقابلتك شخصياً.

عاد إلى ما وراء منضدته وابتسم لها مجدداً.

ـ أحياناً، تكذب الكاميرا. . لكن هذا غير صحيح معك بالتأكيد. .

تمتمت جانيس ممتنة للاطراء:

ـ شكراً لك.

تلاشت البسمة عن وجهه. . وكسا وجهه الجو العملي.

ـ سأتطرق إلى صلب الموضوع آنسة يونغ. لقد طورنا عطراً جديداً، ونريد الفتاة المناسبة لتقديمه إلى الجمهور. . كانت سياستنا الدائمة هي استخدام النجوم المشهورين في حملات الإعلان، لكن. .

صمت قليلاً، وكأنه يختار كلماته بدقة لمزيد من التأثير.

ـ . . هذا العطر مختلف، إنه فريد من نوعه. وفكرنا أن نقديمه بشكل مختلف قد يكون أشدّ تأثيراً. . ولقد وضع اسمك على اللائحة، ونريد استكشاف هذه الإمكانية. . أقول استكشاف، لأن مجلس إدارتنا غير مقتنع أنك ستقدمين الصورة المناسبة.

ابتسم لها ابتسامة صغيرة يطمئنها أنه يراها مناسبة، لكن حركة حاجبيه كانت تقول بوضوح إن الأمر ليس بيده، وقدرت له جانيس هذه الحركة، لكنها زادت من توترها الداخلي. . وتابع:

ـ ما نريد أن نفعله هو أن تقومي بإعلان كتجربة. سندفع لك أجرك المعتاد، ولكننا لا نضمن لك أننا سنستخدم ذلك الإعلان. . قد لا يهمك أن تضيعي وقتك بمثل هذه التجربة التي لا ضمانات لها، لكن لو وافقوا على عملك فستكون المكافآت كبيرة جداً، فالعقد مع شركة آشتون عدا عن الناحية المالية، هو قوة لا يستهان بها في عالم الموضة. . وهذا أمر تعرفينه وتقدرينه بالتأكيد. .

ردت بسرعة: «أجل. . أقدّره».

- إذن، ربما تريدين بعض الوقت للتفكير في عرضنا.

لن تفكر في الأمر.. فليس لديها خيارات أخرى، وفرصة إثبات وجودها تتدلى أمامها، وتمسكت بها بأيد متلهفة:

- لا.. فأنا مسرورة للمضي في هذا الترتيب.

- قد لا يقودك الأمر إلى شيء.

ابتسمت جانيس، غير قادرة على احتواء إثارتها نحو العرض:

- من ناحية أخرى، هذه فرصة تستحق المخاطرة.. أليس كذلك!

رد ابتسامتها:

- عرفت أنك ستنظرين إليها هكذا.. فلدى القسم القانوني في الشركة إتفاق جاهز لتوقيعه آنسة يونغ، لكن السيد آشتون يود مقابلتك أولاً.. أعذريني لحظة!

مال إلى الأمام يضغط زراً على هاتفه الداخلي:

- أرجو إبلاغ السيد آشتون أنني سأرافق الآنسة جانيس يونغ إلى مكتبه الآن.

الواضح أنه راض عن الموقف:

- أتسمحين لي بمرافقتك؟

وقفت جانيس برشاقة:

- قلت السيد آشتون.. وكنت أظن ايڤا آشتون..

- لقد تنازلت الملكة لصالح ابنها.. ايڤا آشتون تحتفظ فقط بلقب رئيس مجلس الادارة، ولا تزال هي الواجهة للمؤسسة.. لكن براندون آشتون هو الذي يدير المؤسسة.. وهذا غير معروف للجميع، عليك أن تعرفي أنه.. هو الذي يجب أن يرضى حتى يتم توقيع أي عقد.. وهو رجل من الصعب إرضاؤه.

وتنهد.

عاد التوتر إلى جانيس وهما يصعدان بالمصعد إلى طابق الإدارة

العامة.. أخذت معدتها تتقلص وحاولت بذعر ان تسترخي.. الواضح أن من الضروري التأثير في هذا الرجل.. ويجب أن تكون هادئة، واثقة من نفسها، وقبل كل شيء، يجب أن تقنع براندون آشتون أنها الفتاة المناسبة لتسويق عطره.

لم تكد تلاحظ الترف والفخامة في قسم الاستقبال. هز مايكل رأسه تحية للمرأة وراء طاولتها، فلوحت بيدها نحو باب، وقيدت جانيس رأساً إليه. قرع مدير العلاقات العامة الباب قبل فتحه، وأدخل جانيس دون انتظار الرد.

كان مكتباً فخماً مثيراً.. لكن جانيس لم تر سوى الرجل الذي وقف بهدوء وسط مقعده.. البذلة الرمادية التي يرتديها متقنة التفصيل، ولكنها تفضل لو كان مرتدياً الجينز والتيشرت... ولكن أكان مرتدياً بذلة أنيقة أم ثياباً عادية فلن يشكل ذلك فرقاً أبداً، فهذا هو رجل الشاطىء.. الرجل الذي شاركته الكوخ الخشبي البدائي.. الرجل الذي كان يطارد أحلامها منذ ذلك الوقت..

وهو.. براندون آشتون.

* * *

٥ ـ يشتري روحها

وقف هناك... طويلاً، قوياً، سيد الموقف، كما يجب أن يبدو الرأس المدبر في مثل هذه الشركة... اعترف بالتقديم الرسمي بابتسامة خفيفة، ثم خاطب مدير العلاقات العامة بثقة الرجل الذي يعرف أن تعليماته ستنفذ حرفياً.

ـ هل تم الاتفاق؟.

ـ أجل.

ـ إذن، أريد التحدث إلى الآنسة يونغ على انفراد.

لم تتحرك جانيس أو تتكلم، فقد سمرتها الصدمة بأرضها وأخذت موجة إثر موجة من المشاعر تولد أفكار متضاربة. إنه براندون آشتون وليس صياد سمك مجهول... يا الله؟ كيف تجرأت واتهمته بأنه متسكع مشرد طفيلي يعيش عالة على النساء؟ لقد قال لها إن هويتها لا تعنيه شيئاً... ولماذا تعنيه وهو براندون آشتون؟

هل أحضرها إلى هنا ليظهر لها هذا؟ ليريها الحقيقة بأم عينيها؟ يبدو أنه المسيطر هنا.. ابقي معي.. ابقي معي.. ودارت الكلمات في عقلها... ماذا أراد منها هذا الرجل القوي؟ أن تكون عشيقته لبعض الوقت في كوخ الشاطىء؟ لماذا احتال عليها كي تحضر إلى هنا الآن؟ ليتابع معها من حيث توقفا؟ أو من حيث تركته هي؟ هي التي ابتعدت

عنه... ولم يكن راغباً في أن تذهب. كان غاضباً غضباً شديداً، وجهه ينضح بالازدراء.. وله كل الحق.. ولكن لماذا لم يقل لها من هو. كان قادراً على تسكين مخاوفها بكلمة واحدة، لكنه لم يفعل.. بل تركها تذهب مع موجة ازدراء.. والآن..

انغلق صوت الباب وراء مايكل ويذرس، واندفعت الكلمات التي كانت تجول في رأسها إلى الحياة:

ـ ماذا تريد؟.

كان ملء صوتها الذعر.

أحنى عبوس سريع الحاجبين السوداوين:

ـ أنا آسف لأنك صدمت.. الظروف تغيرت...

ـ لا يمكن أن تتغير أكثر من هذا.

ضحكت ضحكة هستيرية:

ـ الكبير العظيم براندون آشتون يضعني في مكاني المناسب.

ازداد عمق عبوسه:

ـ لم تكن نيتي هذا.

ـ لا لم تكن نيتك هذا.

جاءت كلمتها مشبعة بعدم التصديق.

أتى الرد حازماً عاصفاً:

ـ لا.

لم يشرح لها أكثر ولم تلبث العينان السوداوان أن اخترقتا عينيها بقوة أثارت عدم ارتياحها وأحست بسلطته تلفها. بدا منتظراً إشارة منها، فجأة أصبحت خائفة من ضعفها أمام هذا الرجل، خائفة مما قد يقودها إليه لو كشف مدى تأثيره العميق فيها. سارت نحو النافذة الواسعة عاجزة ثائرة فأدارت ظهرها إلى القوى المثيرة للاضطراب المسماة براندون آشتون.

تشبث عقلها بتفاصيل عرض العمل واسترجعت كل ما قيل لها عنه... إعلان تجريبي غير مضمون.. إلا إذا رضي السيد آشتون... رضي.. علقت الكلمة في طاحونة أفكارها وتشابكت مع الصور.. إنه يريدها أن تعود لكن حسب شروطه. رجل متسلط يفرض سلطته.. وربما يعرف مدى حاجتها للعمل.. لقد أهانته، وتخلت عنه.. رجل مثله معتاد على الحصول على ما يريد، يكفي أن يشير بإصبعه لأية امرأة.

لم تستطع تحمل النظر إليه، لكنها تريد معرفة الحقيقة. فسألت:

ـ إنه... ليس عرض عمل بما للكلمة من معنى، أليس كذلك؟ أنت ترمي لي الطعم لأماشيك في اللعبة التي تريدها.

ران صمت مشحون.. وتعلقت كلماتها في الهواء تنضح معاني قبيحة...

ـ وهل ستجاريننني في لعبتي... جانيس؟.

جاء السؤال بصوت رقيق، لكن مضامينه وقعت على رأسها كالصاعقة.. وعلقت أنفاسها في حلقها، وتكهرّب كل عصب في جسمها بسبب قربه منها.

فتحت فمها لتتكلم، لكن يده لامست وجنتيها برقة وإغراء. عندئذ توقف لسانها عن الاحتجاج فقد أرسلت أطراف أصابعه سحراً شريراً سرى في جسمها سريان النار في الهشيم، فأيقظ تلك المشاعر التي شعرت بها في ذاك اليوم.. وارتجف قلبها كعصفور حبيس.. وضغطت يدها عليه لتحاول بيأس إيقاف خفقاته المجنونة.

مزقت الحقيقة كل ما وضعته من قيود على قلبها. إنها تتوق لتشعر بذراعي هذا الرجل حولها مرة أخرى.

ـ تحصلين على العقد جانيس... إذا أعطيتني ما أريد.

كان صوته منخفضاً.. فيه كل الإغواء.. وفي هذا الوقت كانت

يداه تنزلقان إلى خصرها ولكن حركته هذه جعلتها ترتجف.

أخذ منها حقيبة يدها التي سمعتها ترتطم بالأرض، لكن صوت هذا الارتطام تناهى إلى مسمعيها مخنوقاً وكأنه آت من بعيد، فطغى عليه صوت أعلى هو خفقات قلبها المتسارعة.

ارتفعت يداها، رغماً عنها، إلى هذا الرجل الذي لم تستطع نسيانه قط. عندما أحست بتنفسه الحاد رفعت نظرها إليه فرأت عينيه السوداوين وكأن لا قرار لهما، ولم تكن تدري أن عينيها الخضراوين كانتا مشتعلتين بالمشاعر.

قاوما مشاعرهما لجزء من الثانية، ثم تفجر عنف شديد في عناقهما في رد فعل غامر فقد شدّتها يداه القاسيتان إليه أكثر فأكثر فاستسلمت لهما لتنعم بما يفجره في أعماقها من حب. والتفت ذراعاها حوله بوحشية.

اندست أصابعه في شعرها وأرجع رأسها إلى الخلف.. فشهقت جانيس ألماً.. ورفعت نظرها إليه بتوسل حائر، ونظرت بعدم تصديق إلى الغضب الملتهب في عينيه..

ارتد عنها... ينظر إليها بازدراء كامل.

ـ أنا لا أستبدل العمل بخدمات جسدية جانيس. لكن من المثير للاهتمام أن أعرف إلى أي مدى قد تذهبين في سبيل تأمين مستقبلك المهني.

صاحت: «أنا.. لا أفهمك».

ـ ولن تفهمي.

البرودة في صوته، بردّت الحرارة في جسمها فارتجفت... وارتفعت يداها إلى ذراعيها تدلكانهما لتعيد الاحساس إلى جسمها. كان رأسها في حالة من الدوار وبدت غير قادرة على فهم الموقف.

قالت بصوت مرتبك:

ـ لماذا؟.

ارتفع أحد حاجبيه بشكل ساخر.

ـ أتظنين أنك مغرية بشكل لا يقاوم جانيس؟ أتظنين هذا لأنني وجدتك يوماً مثيرة.. أتعتقدين أنه ليس عليك سوى عرض جسدك حتى أصبح ألعوبة بين يديك؟.

كان صوته حاداً ملؤه الاشمئزاز.

راقبته يبتعد عنها ويتوجه إلى مكتبه حيث جلس في المقعد الجلدي المريح... كانت كلماته القاسية قد دمّرت آخر بذور تلك المشاعر التي حركها في كيانها.. إنه حقاً غريب الآن، غريب بارد عديم الإحساس.. بدا وهو جالس إلى مكتبه، رجل قوياً متسلطاً لا يتوانى أبداً عن تحجيم الآخرين حتى يشعرهم بأنهم أشبه بالحشرات... فها هو يبعث فيها شعوراً بأنها ليست أكثر من غبار تحت قدميه.

ـ لا تسيئي تقديري مرة أخرى جانيس.. لا أخلط العمل بالمشاعر. فأنا لا أريد شيئاً منك سوى خدماتك المهنية كعارضة... المديرون الآخرون في مجلس الإدارة لا يعتقدون أنك قادرة على القيام بالعمل.. فإذا أرضيتهم، وأرضيتني، تحصلين على العقد.

كان هذا تقرير أمر واقع باتر، لا مشاعر فيه أبداً... كانت عيناه تنظران إليها وكأنها مجرد «علف» للكاميرا.

ـ ولماذا اخترتني أنا؟.

مال إلى الخلف في كرسيه.

ـ لأنك قادرة على القيام بالعمل.. لقد رأيت فيك جانباً لم يره غيري.

اندفعت الدماء الحارة إلى وجنتيها، وأضاف بسخرية:

ـ وبقدر ما يبدو هذا غريباً، أردت ارضاءك.

ـ إرضائي؟.

ابتسم دونما مرح:

ـ بعد ظهر ذلك اليوم، ظهرت لي كم تقدّرين مهنتك، فقد تخليت عني... وهذا العقد سيساعدك للوصول إلى النجاح العالمي.. سأقدّم لك شيئاً لن يكون لديك أي مقابل له، ولكن ليس عليك إلا إظهار أفضل ما لديك.

أحست جانيس بالغثيان، وجف الدم في وجهها لأنها استوعبت المعاني الكاملة وراء كلماته الآن... أدركت أنه كان يشعر عندما كان هناك في الكوخ أن بينها وبينه صلة روحية سحرية نادرة إلى درجة أنها بدت حلماً، ولكنها سممت تلك الصلة وذاك الحلم بكلماتها المتسرعة التي جاءت عقب الخوف والضعف الهائل الذي أحست به.. ولا مجال للعودة الآن... لقد حكم عليها وأدانها.

سألت وجسدها يرتجف احتجاجاً.

ـ أكنت تعتقد أنني سأنام معك في سبيل... في سبيل أن أضمن مستقبلي المهني!.

التوى فمه سخرية:

ـ إنها ليست فكرة سديدة... هلاّ اهتممنا بالعمل؟ لا أريد تضييع وقتي بالأمور التافهة.

أشار إليها أن تجلس فلما خطت خطوات مرتجفة إلى الكرسي، اصطدم قدمها بشيء... إنها حقيبتها التي ما تزال مرمية على الأرض حيث أوقعها.. لسعت الدموع مقلتيها وهي تنحني لتلتقطها، ورافقت موجة من الأسى المدمر تحركها إلى الكرسي، لكنها ركزت جاهدة على الجلوس برشاقة عارضة الأزياء المدربة.. ضمّت ساقيها إلى جانب واحد في وضعية متفق عليها. الشيء الوحيد الذي بقي لديها لتمسك به هو عملها، وهو الآن في الحضيض بسبب انفصالها عن ستيفنز.. ومن الضروري الآن أن تعض على الجرح، وتصغي لما سيقدمه لها براندون

آشتون.

ـ أولاً.. دعيني أشرح لك اننا غير مهتمين بصورتك المهنية القديمة... بل نسعى وراء شيء جديد فيه إبداع لتسويق عطرنا.

ظهرت الحيرة على جانيس.

ـ لكن.. إذا كان عملي لا يعجبك...

ـ أنا واثق أنك كنت ناجحة كل النجاح.. لكن على فتاة آشتون أن تكون امرأة.. بكل ما للكلمة من معنى... وليس فتاة صغيرة مثيرة.

تورد وجه جانيس، وغضبت من نفسها لأنها أوصلت نفسها إلى ذاك المستوى.. براندون آشتون على حق فالصورة التي اخترعها ستيفنز كانت تتعمد الإغواء الحقير.

سألت بصوت جاف:

ـ بماذا تفكر بالضبط؟.

ـ أريد امرأة يكون جمالها طبيعياً عفوياً... غير متأثر بشيء.. امرأة بريئة حالمة.. وباختصار، أريد المرأة التي رأيتها على الشاطىء يوماً. فإذا كنت ممثلة بارعة وأظهرت هذا في فيلم، فالعقد عقدك.

ذهلت جانيس... لقد كشفت أموراً كثيرة عن نفسها ذلك اليوم.. معتقدة أن سرها في أمان مع غريب متفاهم.. لقد تركت نفسها ولسانها على سجيتهما وكانت تريد التحرر من قيود ستيفنز وكان ذلك أمراً رائعاً ولكنها ترى أن مجرد التفكير في تحويل ذلك السحر الخاص إلى اعلان تجاري هو خيانة عظمى للثقة. ومع هذا، يقترحه عليها براندون آشتون... لا.. بل يأمرها به.

سألت بصوت مخنوق: أتطلب هذا مني؟

هذا كثير... كيف يجرؤ على ازدرائها باقتراح عرض جسمها ومقايضة روحها بعطر.

بدت الدهشة في عينيه:

ـ ألست ممثلة بارعة بحيث تتمكنين من إعادة تمثيل ذلك المزاج؟

جاء سؤاله وكأنه طعنة متعمدة في الصميم.

وكرهته في تلك اللحظة.. كرهته بكل ما أوتيت من قوة.. لقد كانت مخطئة.. فما شعرت به كان من جانب واحد... فذاك السحر الذي لفهما لم يعنِ له شيئاً ذا قيمة.. لم يهتم كثيراً لها.. إنها مجرد عارضة يستخدمها.. وهذا كل شيء بالنسبة له.. فهو رجل عرف الكثيرات من الجميلات... وأفرغ قلبها يأس كليل لينعكس ظله على وجهها.

ـ جانيس..

التطلب الخشن في صوته بالكاد لفت نظرها.. ونظرت إلى جهته مخدرة الاحساس. تتساءل لماذا قال إنها أعطته شيئاً له قيمة كبرى لديه...

ـ جانيس.

كان صوته أكثر إصراراً، يقطع ذكرياتها. ومال إلى الأمام بتوتر لم تلحظه فيه من قبل.

ـ هل... هل عنى لك ذلك اليوم شيئاً مميزاً؟.

كيف تعترف بهذا الآن؟ لقد جعل الاعتراف مستحيلاً ومخجلاً.

ردت دونما اكتراث.

ـ فقط، مثلما يكون أي خيال له خصوصيته. لكن إذا كان هذا ما تريده سيد آشتون، فسأقوم بما في وسعي كي.. كيف وصفت الأمر؟.. لاعادة تمثيل ذلك المزاج؟ على الأقل... سأحاول.

يجب أن تحاول.. لو أنها تخلت عن عرض براندون آشتون، سيكون هذا اعترافاً منها بالفشل، أمام أمها وستيفنز.

عاد براندون آشتون للاستناد إلى الخلف.

ـ آه... خيال! أجل... ذلك هو الاسم الذي اخترناه لهذا

العطر.. الخيال.. وأنا واثق أنك ستعطينه حقه جانيس. على أي حال، أعرف أنك قادرة على خلق الخيال.. ليصبح حقيقة.

وحدها السيطرة المتصلبة على النفس هي التي منعت جانيس من رمي العرض في وجهه والخروج. أشعلت الكراهية دمها إلى درجة الغليان، لكنها بطريقة ما أبقت زخمها محصوراً، وهي تصرّ على أسنانها بتصميم جبار.. ستريه أنها موديل تصوير محترفة، وعارضة ناجحة. سترى الجميع هذا.. أمها، ستيفنز، والعالم كله. لكنها ستري هذا أكثر من أي شخص آخر، لبراندون آشتون.. وأصرت عليها كرامتها أن لا يعرف كم جرح هذه الكرامة.

قالت عبر أسنان مشدودة:

ـ أرجو أن تكون راضياً.

ـ هدفنا الأول هو إظهار مقدرتك للمدراء الآخرين.. هل أنت حرة صباح الغد؟

لا داعي للادعاء بأنها مشغولة:

ـ أجل.

ـ جيد.. سأدبر لك لقاء.. كوني هنا في التاسعة، أم أن هذا وقت مبكر لك؟.

ـ أبداً.

ـ لن تحتاجي إلى الذهاب عند المزين أولاً.. أريد أن أقدم لهم فتاة آشتون الجديدة... فاغسلي عنك الزي الأنيق الأملس، ودعي شعرك يجف ليصبح تموجات طبيعية.. وأرجوك امتنعي عن التبرج، مهما كان... هل لديك ثياباً أكثر أنثوية في خزانتك؟.

سألت متوترة:

ـ وماذا تقترح؟.

هز كتفيه.

ـ فستان يتناسب مع جسمك... ربما. صورك القديمة تميل إلى إخفاء تفاصيل جسمك.

وانفلتت سيطرتها على أعصابها.

ـ لماذا لا تطلب مني الحضور عارية؟.

ومضت عيناه توتراً، ثم التوى فمه بابتسامة ساخرة.

ـ آشتون تهدف إلى الحساسية والاثارة.. والنساء لا يعجبهن ما هو واضح... وكل أعضاء مجلس ادارتي من النساء... وأنا واثق أنك قادرة على إظهار مكانتك الطبيعية دون أن تكوني واضحة بشكل فظ.

ـ كما تشاء.. هل هناك شيء آخر تريدني أن أفعله؟.

ورفعت له عينيها الخضراوين الصاخبتين كجدار دفاع صلب.. الاستسلام لمطالبه كان مصطنعاً جداً... وقسى وجهه.. ولمعت عيناه بالازدراء.. وفي داخلها ردت جانيس على ازدرائه فهو لن يستطيع بعد اليوم إيلامها بمثل هذا الازدراء.

ـ لا... لا شيء آخر أريده منك.. إذا كنت مستعدة لتوقيع العقد الآن، بإمكان ويذرس أن يأخذك إلى قسم الشؤون القانونية.

مال إلى الأمام، فسارعت تقول:

ـ هناك شيء واحد بعد، سيد آشتون.

رفع حاجبيه متسائلاً فأكملت:

ـ أفهم أن هذا الاتفاق هو على أساس مهني تماماً؟.

ـ ظننت نفسي أوضحت هذا تماماً.

ـ اذن، فأنا أصرّ على أن تناديني بصفة مهنية رسمية، سيد آشتون، أنا أكره استخدامك الأنيق لاسمي الشخصي. ليس من حقك مناداتي جانيس.

أعطاها البريق الخطير في عينيه، تحذيراً صامتاً من أن تحديها له كان غباء منها.

www.elromancia.com

وانفجر غضبه فجأة. قال راعداً:

ـ من تظنين نفسك بالضبط لإملاء الشروط عليّ؟

السخط دفع صوته إلى الارتفاع، مكملاً:

ـ أنت لا قيمة لك، ولو بمقدار ضئيل، في الصورة العالمية.. هناك لائحة طويلة من النساء... اللواتي ينتزعن الإعجاب لهذه الحملة! لكنني أخاطر بالوقت والمال لأعطيك فرصتك للنجاح الكبير... ويا له من شكر لعين أحصل عليه! أولاً، أهنت فهمي وذكائي. ثم تمسك غرورك المتشامخ ببعض التعليمات الضرورية.. وفوق كل هذا، لديك الوقاحة التي لا تصدق في الوقوف بكل جلالة قدرك، لتقولي لي ما يجب أن أدعوك!.

سحب نفساً متحشرجاً، وانخفضت لهجته قليلاً، لتصبح لاذعة السخرية:

ـ حسن جداً.. اسمعي هذا، آنسة جانيس يونغ! سأناديك بأي اسم لعين يخطر ببالي... ويجب أن تشكري السماء وحظك الطيب، أنك هنا، لينادى عليك بأي اسم كان... وإذا لم يعجبك الأمر، انهضي من مكانك وتابعي سيرك.. فأنت وحق الله... يمكن استبدالك بكل سهولة! لقد كلفتني من المتاعب أكثر مما تستحقين. هل كلامي واضح أيتها الفتاة التافهة السخيفة؟.

تصاعدت الدموع إلى عينيها، وعلقت غصة ضخمة من المشاعر المتشابكة في حلقها.. دماغها اعترف بالوقائع اللعينة.. بالنظر إلى المسألة من وجهة نظره، فهي فعلاً سخيفة جداً... لكنها مذ دخلت غرفته، لم تكن قادرة على أي تركيز واضح على عرض العمل.. فقد كان هناك الكثير من المواضيع الجانبية ألهت أفكارها المشتتة.

قالت بصوت مخنوق ترميه بنظرة توسل يائسة:

ـ أنا آسفة.

تنهد... مرر يده فوق وجهه، وكأنه يمحو عنه الغضب. وتحولت تعابير وجهه إلى الارهاق:

ـ أنا آسف كذلك. لا فائدة.. كان المجيء بك إلى هنا غلطة.

ـ لا... أرجوك... أنا أريد العمل، وأنا ممتنة لعرضك.. الأمر فقط.. لم أستطع.. سأقوم بجهدي.. حقاً سأفعل.

للحظات طويلة مشدودة، نظر إليها بصمت. وكان لجانيس انطباع قوي بأنه لا يراها أمامه أبداً، مع أنه كان ينظر إليها مباشرة.

أخيراً تمتم:

ـ خيال.. حسن جداً! الاتفاقية جاهزة لتوقيعها.. إلا إذا كان لديك شيء آخر لتقوليه... والأفضل أن ننتهي منه.

هزت رأسها نفياً.

ضغط زر الهاتف الداخلي:

ـ ارسلي ويذرس إلى هنا.

انفتح الباب ليدخل مدير العلاقات العامة على الفور تقريباً... وقف براندون آشتون وفعلت جانيس مثله.

ـ دع الآنسة يونغ توقع العقد، وأكمل الاجراءات الضرورية.

التفت إلى جانيس يهز رأسه ليصرفها.

ـ في التاسعة صباح الغد آنسة يونغ.

لم يتحرك من وراء منضدته. بل وقف مستقيماً، طويلاً، شخص مسيطر، قوي، سلطوي. لقد تعامل معها وصرفها... تنفست جانيس بعمق، تهدىء روعها، وتقدمت نحو مايكل ويذرس.. الذي ابتسم لها ابتسامته الفاتنة وفتح لها الباب.. لم تستطع رد الابتسامة... وكل ما استطاعته هو أن تجعل من انسحابها انسحاباً وقوراً.

إنه انسحاب في أكثر من مجال... أجلى غضب براندون آشتون ضباب رأسها... إنه يحمل كل الأوراق الرابحة، ويجب عليها أن

www.elromancia.com

تلعب كما تشاء إذا كتب لمستقبلها المهني النجاة والاستمرار، هذا عدا الصعود إلى القمة... ربما كان من الأفضل العودة إلى ستيفنز.. لكن المنطق أنكر عليها هذا، فالعمل لبراندون آشتون قصير المدى، وسرعان ما ينتهي. وقد تنجح عندها وحدها.. وهذا بكل تأكيد يستحق القليل من ألم القلب.

أما ما تبقى من ذلك اليوم الذي أمضته حميماً معه فهو حدث مقرب جداً... وسيبقى محصوراً إلى الأبد في بُعد زمني ومكاني آخر، لا علاقة له بالحاضر. ومع ذلك... حين لامسها...

صاحت بنفسها بعناد: انسي هذا! لقد كان براندون آشتون... براندون آشتون! وهذه هي نهاية الأمر.

* * *

٦ ـ الحب تمثيلية

ـ لن تخرجي هكذا!

تنهدت جانيس التي رمت أمها نظرة سخط:

ـ أمي.. لقد أخبرتك بتفاصيل العرض كله، ولن أعرض هذه الفرصة لأي خطر بتجاهلي للتعليمات.

شخرت ايڤلين يونغ بازدراء:

ـ ماذا يعرف الرجال عن تقديم الرموز؟ ستقابلين إيڤا آشتون هذا الصباح، ملكة أدوات التجميل! ولن تتوقع منك أن تظهري بوجه خالٍ من التجميل.

ردت بحدة: «من يدير العمل الآن، هو براندون آشتون.. أمي».

ـ لن يلاحظ لمسة فرشاة، أو خطاً خفياً على العين. لن يذهب القليل من الغش سدى.. الأسود ليس أسود والأبيض ليس أبيض في عالم الأعمال.. يجب أن تظللي الأشياء بطريقتك.. لقد آن الوقت لتتعلمي هذا جانيس.

قالت جانيس بصوت ساخر:

ـ لا أظن أن السيد آشتون يحب الظلال الرمادية أمي.

إنها تعرف أن الأسود أسود قاتم بالنسبة له، والغش سيكون قاتماً كثيراً برأيه.

www.elromancia.com

ـ قال: لا تبرج.. وأنا سأتبع تعليماته بحذافيرها.

اشتدت شفتا اڤلين يونغ بعدم رضا.. وتمتمت وعيناها تجوبان على ابنتها بانتقاد حاد:

ـ عنيدة.. حسناً.. على الأقل للفستان طرازه.. وأرجو أن يقدّر هذا.

وهذا ما أملته جانيس كذلك. لقد أمضت طوال فترة بعد ظهر الأمس بالبحث في مجلات بيع الألبسة، عن الفستان المناسب... فكرامتها تفرض عليها عدم إعطاء براندون آشتون فرصة لانتقادها.. إنه فستان يزيد من إضاءة لون بشرتها الطبيعي.. وخصلات شعرها الحريري الأشقر، كانت تتناسب مع انسيابه. وقد زاد من تأثير لون عينيها الخضراوين المذهل.. عندما ألقت نظرة على نفسها وهي على طبيعتها شعرت بالسرور لأنها بدت أفضل مما كانت منذ زمن طويل.

ودعت أمها بحزم، تاركة كل النصائح وراء ظهرها.. وسارت بخفة كما حدث ذاك اليوم على الشاطىء.. هذا الصباح، هي متحررة من صورة جانيس يونغ، أو جانيس الطفلة القديمة.. هذا الصباح، هي نفسها.. فالعامل الوحيد المثير للاضطراب هو الرجل الذي ستقابله. عرفت أن عليها ضبط ردة فعلها أمام براندون آشتون.. مع ذلك، كلما فكرت فيه كان تفكيرها يتشوّش ومعدتها تتقلص وبشرتها تقشعر وأعصابها تتأرجح بشكل مدمر.. ما إن اقتربت من مبنى مؤسسة آشتون حتى هيأت نفسها للقاء.. وكانت عازمة النية على الظهور بوجه ملؤه الثقة بالنفس والهدوء.

مع ذلك توترت توتراً شديداً حين دخلت إلى مكتبه.. كان واقفاً أمام النافذة الواسعة، وكأنه لا يعي دخولها. أرادت أن يلتفت، أن يأخذ المبادرة، أن تعرف شيئاً عن مزاجه اليوم.. لكنه لم يتحرك.

أجبرت نفسها على القول بصوت جاف:

ـ صباح الخير.

التفت إليها.. وسرعان ما أضفى وجوده المسيطر على الغرفة هالة من القوة. مرت عيناه بها مقوّماً فتشنجت معدتها بانتظار التعليق الذي لا بد منه.

ـ جاهزة الآن؟

الواضح أنه لم يتأثر أو يهتم.

لعنت جانيس ضعفها أمام الرجل وقالت بغضب: «أجل.. شكراً لك».

حرقت بقعتان حمراوان وجنتيها، ورفعت عينين مثقلتين راحتا تنظران إليه بتحد. وما زاد من اضطرابها أنها رأت رقة غير متوقعة في عينيه.. وللحظة عمَّ المكتب ضباب، وتغلبت عليه ذكرى البحر والرمل.

ثم اقترب نحوها بخطوات بطيئة، ولمست أصابعه خدها بلطف:

ـ تبدين.. جميلة جداً.

كتمت أنفاسها لأنه بدا لها أنه ينحني نحوها.

ـ جانيس.

ما هذا الذي في عينيه.. عذاب.. أم رغبة؟ وغشيها إحساس قوي غريب، أسرها ووترّ كل عصب في جسمها ترقباً، وشعرت أنه على وشك قول ما له أهمية كبرى.. ثم ضاعت اللحظة.. إذ رأته ينسحب ويتراجع نصف خطوة إلى الخلف.

تنهد: «ليس الوقت المناسب.. تعالي! يجب أن تحافظي على هدوئك هذا الصباح.. فأنت على وشك الدخول إلى عرين «اللبوة». لقد شقت أمي طريقها إلى القمة بمخالبها، والعمر لم يقلل من حدة هذه المخالب».

كان تحذيراً ملؤه الود وكأنه من صديق، ولكن ذلك ضاعف من

www.elromancia.com

ارتباك جانيس لأنها لا تفهم براندون آشتون. فتعامله معها الآن يتناقض كل التناقض مع ما جرى من قبل.. رافقته وهي مذهولة ولم تساعدها لمسته على ذراعها في إجلاء تفكيرها رغم المشاعر السعيدة التي حركها فيها. ما عليه سوى الاقتراب منها حتى تستجيب إلى هذا السحر الذي يجذبها إليه.

سارا في مكتب الاستقبال متوجهين نحو الباب، ومنه إلى مكتب استقبال آخر.. فاجأها الديكور كثيراً فمن الديكور الحديث بشكل صارخ إلى كل أناقة الماضي.. وغاصت قدما جانيس في سجادة سميكة مشمشية اللون.. كان الأثاث ضخماً وأنيقاً، ستائر من المخمل والحرير المخرم، وأثاث فريد من نوعه، وسجادة مطرزة معلقة على الجدران، وخشب مصقول، ومزهريات مليئة بالورود.. حتى منضدة الاستقبال جميلة.. واندفعت عينا جانيس إلى اللوحة المذهبة الإطار.. كان وجه ايڤا آشتون المهيب تحذيراً كافياً فمن الواضح أنها امرأة لا تطيق التصرفات الحمقاء.

حيّا براندون آشتون موظفة الاستقبال الأنيقة بشكل سريع ثم تجاوزاها، ولكن عيني الموظفة برقتا اهتماماً. اقتادها براندون إلى مكتب كان من الممكن أن يكون صالة استقبال في قصر منيف أو حتى غرفة عرش.. وكانت ايڤا آشتون جالسة في مقعد مجنح مرتفع خلف مكتب، فبدت بوضوح أنها تشغل بحق منصب رئيس مجلس الإدارة، وكانت امرأة أخرى جالسة إلى يسار المكتب.

سرعان ما أصبحت جانيس هدفاً لعيون حادة، ولم تتحرك أي من المرأتين أو تتكلم.. لكن الصمت كان مشحوناً بالأسئلة.. وكان الواضح أنهما أم وابنتها فالشبه مذهل فكلتاهما ضخمتا الجسم، قويتا القسمات، ولكنهما لا تعتبران على جانب كبير من الجمال، وكان جفنا ايڤا آشتون المثقلان وفكها المتراخي يفضحان سنها.. لكن بنية هذه

المرأة الضخمة جعلت من السن أمراً تافهاً امام التشابه الكبير.

ـ ايڤا آشتون.. كارا مارثاين.. جانيس يونغ.

كان هذا إعلاناً أكثر منه تعريفاً.. وبدا من الغريب أن يضع الاسماء كلها على مستوى واحد من الأهمية.

قالت جانيس بأدب حذر:

ـ أنا مسرورة جداً بلقائكما.

وتر صمتهما وتفرسهما فيها أعصابها.

وقالت المرأة الأصغر سناً بمكر:

ـ دون شك!

ـ كارا!

كانت لهجة ايڤا آشتون حاسمة، فهي معتادة أن تأمر فتطاع، وأعادت نظرها إلى جانيس.

ـ كنت انتظر مقابلتك بفارغ الصبر، آنسة يونغ.. أرى الآن أن صورتك السابقة كانت خادعة، وبصراحة ما كنت لأفكر فيك ولو لحظة.. ولكن لدى براند دائماً أفكار غير عادية.. أظننا الآن سنكون منصفين بحقك... بإمكانك الجلوس.

ـ ليس بهذه السرعة أمي.. أنت لا تطلبين رأيي لكنني أرفض أن تتجاهليني فنحن لم نر بعد كيف تتحرك.

أرسل الامتعاض في صوت كارا مارثاين، قشعريرة ارتباك إلى ظهر جانيس، عندئذ تركها براند واقترب من الكرسي الواقع يميناً قرب الطاولة. وعندما جلس أشار إلى جانيس بتكاسل غير مهتم، ينصحها بأن تذعن.

ـ سيري جيئة وذهاباً جانيس.

كان كل عملها كعارضة يرتكز على الكاميرا، وهي لم تختبر قط أن تعريها العيون وهي تتحرك، لذا صعب عليها أن تحافظ على هدوء

www.elromancia.com

أعصابها وأمامها هذه العيون الناقدة.

ـ كفى.

جاء صوت إيڤا آشتون صارماً..

ـ حسناً كارا؟

التفتت جانيس إلى المرأة الصغيرة، تأمل أن ترى دليل الاعجاب.. وتهلل وجه كارا مارثاين التي ابتسمت ابتسامة شريرة.

ـ أريد أن أراها تلعب دور الخيال.. الجسد شيء.. والقدرة على التمثيل شيء آخر.

ـ الآنسة يونغ، لم تتلق بعد سيناريو دور الخيال كارا.. ولقد دبر لها ويذرس اللقاء مع مخرج الفيلم فيما بعد، هذا الصباح.

حمل تصريح براند آشتون البارد وميض الانتصار إلى عيني شقيقته.

ـ أترين أمي..! لم تخضع حتى لتجربة!

لم يكن وجه المرأة العجوز مقروءاً، مثله مثل وجه ابنتها.

ـ ليس شقيقك أحمق كارا.. فلا شك أن لديه أسباباً تدعوه للإيمان أن الآنسة يونغ قادرة على القيام بالدور.

رمت كارا كلماتها بسخرية وازدراء:

ـ لديه أسبابه! حسناً لا برهان متوفر على هذا.. هل من برهان؟ لقد جعل هذه..

ولوحت بيد عابثة نحو جانيس، دون أن تعترف بمعرفة اسمها.

ـ ... هذه العارضة المحدودة الأفق، توقع عقداً لإعلان رئيسي سيكلف الشركة على الأقل عشرين ألف دولار، وأنا أقول إن من حقنا أن نرى دليلاً على أن هذا المال لن يرمى في البالوعة.

ارتدت إلى جانيس وعيناها البنيتان القاتمتان تومضان شرّاً.

ـ حسناً آنسة يونغ.. سأقول لك ماذا نريد، أنت تسيرين على الشاطىء تجمعين الأصداف وإحدى هذه الأصداف هي عطر الخيال..

تفتحين الزجاجة، تضعين العطر، ثم تحلمين أنك حورية بحر فاجأها حبيب خيالي، قلبك عناقه إلى امرأة.

أمسكت علبة صغيرة عن الطاولة ومدتها إليها.

ـ هاك العطر.. فلنرَ كيف تضعينه والآن تحكمي بوجهك حتى نرى مدى قدراتك.

وفي هذا الوقت انعصر قلب جانيس وكأنه كرة مشدودة، كانت كارا مارثاين تتكلم عن التفاصيل ولكن جسدها كله تشنج احتجاجاً.. براندون آشتون لا يطالبها فقط أن تكون المرأة التي على الشاطىء، بل ينوي إعادة تمثيل المشهد الذي حدث بعد ظهر ذلك اليوم بكل تفاصيله الشخصية.

ـ لا أستطيع!

كانت شهقة احتجاج مخنوقة.

صاحت كارا مارثاين:

ـ لا تستطيعين؟ ماذا تقصدين بأنك لا تستطيعين؟ إنه مطلب منطقي. هاك!

ومدت يدها بالعلبة بإصرار.

ـ أرجو أن تنفذي ما طلبته منك.

لم تستطع جانيس النظر إلى براند آشتون.. بل نظرت إلى المرأة التي تبدو كملكة على أمل أن تريحها ايڤا آشتون من هذه المهمة المستحيلة.. لكنها لم تجد المساعدة منها، فالعينان السوداون كانتا تراقبان جانيس بتحفظ بارد. ولم تجد العون من براند آشتون كذلك، وقد أبرز صمته أنها الآن بمفردها.

اجبرت نفسها على التقدم إلى الأمام لتتناول العلبة.. كانت العلبة المربعة السوداء تحمل شعار آشتون.. عندما خلعت الغطاء، وجدت على الحشوة الناعمة المصنوعة من الساتان الأرجواني صدفة مروحية

www.liromancia.com

الشكل.. مصنوعة من البلاستيك، لونها من الصفاء بحيث بدت حقيقية.. وثمة زران من اللؤلؤ الصناعي وهما عبارة عن القفل.. ارتجفت أصابع جانيس وهي تفتحها.. في الداخل زجاجة صغيرة على شكل محّارة، فيها العطر.

عرفت أن لا فائدة.. فرفعت عينيها إلى ايڤا آشتون تتوسل أن تفهم، ولكنها كانت تتوقع الرفض:

ـ أنا آسفة.. لن أستطيع.. أنا لست ممثلة تستطيع تحويل مزاجها متى تشاء.. يجب أن أشعر بالدور.. ولن أستطيع الشعور به في هذه الغرفة.

تهكمت كارا مارثاين:

ـ اوه.. هذا رائع.. أليس كذلك؟

وصفقت يدها على ذراع المقعد بازدراء ترسل نظرة سخط إلى أخيها.

ـ اختيار رائع براند..! لقد خصصت ميزانية تصوير ليومين.. يومين! ماذا إن لم تشعر بأن مزاجها مناسب؟ كم تنوي زيادة الميزانية في سبيل الانغماس بنزوتك هذه؟

جرحت كرامة جانيس التي تورد وجهها غضباً.

ـ سأقوم بما في وسعي في الوقت المحدد، سيدة مارثاين.

صاحت المرأة:

ـ ما بوسعك! وما هي الضمانة؟

ارتدت إلى أمها ووجهها ينبىء بمدى اعتدادها بنفسها وكأنها سوّت المسألة.

ـ لا أدري كيف تسامحين براند في هذه المسألة.. سأذكرك مرة أخرى أمي أن جلب مجهولة هو ضد سياسة الشركة.. إن فشلت هذه التجربة، آمل أن تأخذي بعين الاعتبار آرائي.. وسأحاسبك حساباً دقيقاً

على هذه الغلطة..

رفعت ايڤا آشتون حاجبيها.

ـ لا تجرؤي على القول لي ماذا يجب أن افعل كارا.. يجب أن يثبت خطأ هذا أولاً. وليس من حسن إدارة العمل أن تصبح السياسة في الشركة راكدة، جامدة.. الدم الجديد قد يكون مثيراً ومغرياً.. ولعل براند وجد نجمة جديدة قد تعطينا «إعلان العصر».

ـ نجمة! يا إلهي! لم يسمع بها أحد خارج استراليا.. قريباً ترين أنني على حق أمي.

نهضت على قدميها فبدت مخيفة أكثر..

ـ بما أنني غير قادرة على التصويت في هذه المسألة لذا لا ضرورة لبقائي ولكنني لا أشك أنني على صواب. سأترككما للتخطيط لنجمتكما الجديدة.

توجهت نحو الباب ونفحت أنفها بازدراء.

ـ كارا..

لم تنادها بنبرة حازمة ولكن السيطرة كانت واضحة.. إنها تحقّق سلطتها دونما جهد.. ارتدت ابنتها على مضض، ويدها على مقبض الباب دليل تحد.

ـ أنت مخطئة في شيء واحد.. للآنسة يونغ جسم جميل.

بدا الإحباط على وجه المرأة الصغيرة.. وترققت شفتاها لتستعيد رباطة جأشها، ثم نظرت نظرة حقد لأخيها وفتحت الباب وخرجت تصفقه خلفها.

قال براند: «ما كان يجب أن تهينيها أمي... هذا لا ينفع في إحلال الوئام».

ـ لا مجال للوئام مع كارا.. فهي لا تستطيع أن ترى أبعد من مشاعرها.. بإمكانك الجلوس آنسة يونغ.

www.elromancia.com

نظرت جانيس بدهشة إلى السيدة العجوز، كانت ايڤا آشتون قد استقرت أكثر في كرسيها واستند رأسها إلى المخمل وبدا البريق في عينيها وكأنه يزحف ببرود.

جلست جانيس إلى أقرب كرسي، وشعرت بالراحة لأنها حصلت على هذا الامتياز. عندما أطلقت كارا مارثاين عليها أسلحتها في صراعها للسيطرة، شعرت بأنها أشبه بفراشة أسيرة.. وأحست جانيس أن براندون آشتون قد وضع نفسه في مركز حرج حين استخدمها.. لكن دوافعه بدت غير واضحة.

دارت الاسئلة في رأس جانيس... هل هدفه فرض سلطته وحكمه في الشركة؟ أم لديه اهتمام شخصي، حقيقي، بجانيس نفسها؟ لا شيء يبدو واضحاً ابداً. لقد أصيبت جانيس بالأذى من مخالب اللبوءة الصغيرة، لكن مخالب اللبوءة الأم ما زالت متوارية حتى الآن.

قالت الملكة برقة:

ـ أنا آسفة لأنني عرضتك لهذا الموقف المشين. لكن من الأفضل لك أن تدركي أنك فعلاً أمام التجربة. أنا أحترم حكم براند.. أردت أن أقابلك لأعرف ما الذي رآه فيك.. وبعدما رأيتك أجدني في حيرة. أين التقيت براند أول مرة؟

فاجأها السؤال الذي جاء على حين غرة... واندفعت موجة من الحرج الشديد شتتت أفكارها حتى باتت غير قادرة عن الكلام... حاولت شفتاها صياغة جملة، لكن لسانها شلّ عن الحركة.

قال براند: «لقد رأيتها على الشاطىء منذ بضعة أسابيع».

ابتلعت جانيس ريقها للرد المباشر، والتفتت إليه وفي عينيها رجاء يائس.. كان يواجه أمه التي بدت تعابيرها محايدة وأضاف:

ـ كانت كما ترينها اليوم أمي، ولكن جمالها الطبيعي كان أكثر وضوحاً حين رأيتها، كان جمالاً مذهلاً لا يصدق. والحقيقة أنني

احتجت إلى وقت طويل حتى تعرفت إلى شخصية جانيس الطفلة، ذلك أنها لم تعطني اسمها ولم تكن لديها فكرة عمن أكون حتى دخلت مكتبي اليوم.

ـ آه!

كانت همهمة رضى، وعادت العينان البارقتان إلى جانيس:

ـ هذا يفسر الكثير... هل توقعت سماع أي خبر منه؟

ـ لا.. لقد ظننت..

صمتت جانيس التي تلاشى اللون من وجهها بالسرعة التي تصاعد منها إلى وجنتيها.. فلم يكن هجوم ايڤا آشتون موجهاً إلى عمل جانيس بل إلى شخصيتها. أنهت كلامها ببطء وحذر:

ـ ظننت أنك أنت مهتمة بمقابلتي.

ران صمت متوتر.. وجمعت جانيس دفاعاتها لمواجهة الهجوم التالي، ولكن الظاهر أنها أجلت الهجوم لفترة قصيرة فقد أدارت ايڤا آشتون نظرها إلى ابنها متنقدة:

ـ أرجو أن تكون مدركاً لما تفعل براند.. فلدى كارا نقطة واحدة محقة، أنت تستخدم مال الشركة ووقتها.

رد باختصار: «ولن يضيع سدى».

اسندت رأسها إلى الخلف، وأغمضت عينيها:

ـ قطع الاحجية تتطابق.. لا تظنني بلهاء براند.. لقد أطلقت يدك فاذهب وابدأ مغامرتك.. وأرجو أن تكون الآنسة يونغ ممن يستحق كل هذا العناد.

رفع براند آشتون نفسه ببطء عن كرسيه وتقدم إلى الجسد الثابت دون حراك خلف الطاولة ووضع يداً على كتفها، وقال بصوت منخفض:

ـ وأنا لست أبلهاً كذلك.. أمي.

ارتفعت يدها تغطي يده.. ثم رفعت جفنيها إليه فرأت جانيس

للمرة الأولى عينيها تليتان.

قالت وهي تبتسم:

ـ أعرف معنى المغامرة، لقد قمت بهذا مراراً عديدة.. وفي الغالب كنت ألقى المعارضة الشديدة.. أتمنى لك الحظ.

تردد وكأنه على وشك قول شيء، ثم ارتد يواجه جانيس.. والواقع أن الابن وأمه نظرا إليها وفي عيونهما ذات التشدد.. فجأة أحست بالعلاقة المقربة بين الأم وابنها، تقارب أرواح لا تشارك فيه كارا، ولن تتشارك، فالابنة أهملت لصالح الصبي، الوريث الطبيعي لأمه.

لزم جانيس قوة إرادة كبرى لتقف وتتقدم إلى الأمام، لتعيد العطر.

ـ احتفظي به عزيزتي.. أنا واثقة أنه سيعجبك، إنه أفضل شيء أنتجناه يوماً.

أذهلتها لهجة الأم اللطيفة:

ـ شكراً لك.. أنت.. أنت بغاية اللطف.

تنهدت السيدة العجوز:

ـ لا مجال كبير للطف في عالم أدوات التجميل.. أتمنى بكل صدق ألا تخذلي ابني.. آنسة يونغ.

ـ سأخذل نفسي أكثر مما سأخذله إن لم أنجح سيدة آشتون، سأبذل جهدي.

اتسعت ابتسامة العجوز التي ربتت على يد ابنها بتسامح.

ـ أنا واثقة من هذا عزيزتي، كل الثقة.. لك أفضل تمنياتي.. بل ولكما معاً أفضل تمنياتي.. ما أكثر ما قمت بمغامرات ناجحة هي أكثر سوءاً من هذه.

خفق قلب جانيس خفقة غريبة لأن هذه المرأة ربطت بينها وبين براند آشتون.. ولقد تم هذا بطريقة معرفة غريبة.

وتمتم براند: «شكراً أمي».

خرجا من الغرفة معاً وكانت جانيس مضطربة عاطفياً لذا لم تسأل حتى إلى أين سيأخذها.. أقفل باب مكتبه وراءهما قبل أن تتمكن من جمع رباطة جأشها.

ـ لا تتوقف أمي عن إذهالي ابداً... لم أتوقع منها معاملتك بلطف، لكنك بدون شك بحاجة إلى ما يهدئك بسبب ما فعلته بك كارا، فماذا ترغبين، قهوة أم شاي؟

تراكم ضغط الأربع وعشرين ساعة التي مرت بشكل غير محمول، وأحست جانيس بنفسها مرهقة جسدياً، ونفسياً، وعاطفياً.. عندما نظرت إلى الرجل شعرت بالغضب من قدرته على الابتسام.

انفجرت قائلة: «أنت تذل بكل ما في الكملة من معنى براند آشتون، ولست أهتم إذا تم العقد أم لم يتم».

اختفت البسمة ودلائل اللطف عن وجهه.. وقال ببرود:

ـ تأخرت قليلاً في التفكير مرة أخرى آنسة يونغ.

ردت بحدة:

ـ وأنت تأخرت كذلك لتعرفني إلى ما تريده بالضبط.. لماذا لم تستخدم كل ما حدث؟.. لكن، بالطبع..

رفعت نظرها إليه لأنها لم تستطع تحمل الذكريات التي أثارها فيها بكل قسوة... ارتدت على عقبيها وابتعدت عنه، تنفث كل ألمها في غضبها المسعور.

ـ هل تلهمك كل مغامراتك العاطفية هذه الأفكار النيرة سيد آشتون؟ هل من عادتك التغرير بالنساء ليعدن بتنفيذ الأفكار التي تريد تحقيقها.

التفتت إليه وعيناها ملتهبتان بالسخرية.

ـ إلى أي درك من القسوة قد تصل؟ كيف تستخدم إحساسي ذلك اليوم، كيف تريد إحياء شيء خاص جدا...

صمتت لأنها شعرت ان الكلمات التي أوشكت على قولها تكشف عن الكثير.

ـ و.. ماذا؟

جعلها السؤال الهامس ترتجف.. أضاف بصوت ناعم ماكر قطع أوصال قلبها:

ـ بماذا أحسست جانيس؟

دنا منها فانتفضت، ولمّا رأى منها ذلك لوّح بيده بعدم اكتراث.

ـ ما دمت لم تتأثري بما جرى في ذلك اليوم، فلماذا كل هذا الضجيج؟

احتجت بصوت ساخط: «كان.. خاصاً.. شخصياً».

هز كتفيه، مع ذلك كان هنالك الحذر في عينيه.

ـ لم تجدي غضاضة في إدارة ظهرك لي والرحيل.. بل الواقع أنه أعجبك أنني أعطيتك الفرصة لتخترعي الأعذار لرمي كل شيء خلفك.. كان الأمر أسهل لو كنت فعلاً نذلاً بكل ما للكلمة من معنى، أليس كذلك؟

لم يدرك أن خيانة ستيفنز لها قد ضعضعتها كثيراً ثم جاءت خدعته وعدم ذكره أنه يعرفها فزاد الطين بلة.. لقد شعرت أنه طعنها وخدعها وغشّها ولكنه لم يفهم هذا، بل ظن أنها كانت ترمي إهاناتها عليه لتتخذها حججاً لرحيلها..

قالت بصوت مختنق:

ـ آسفة لأنني قلت تلك الأشياء، كنت مخطئة.. لكنك.. لكن لماذا لم تذكر لي هويتك؟

التوى فمه سخرية:

ـ وأعطيك اسمي، ورتبتي، وحساب تقدير ثروتي؟ هل كنت ستبقين معي جانيس؟

خرجت الحقيقة هامسة من شفتيها:

ـ لا أدري.

سخرت منها العينان السوداوان بوحشية:

ـ لقد اخترت العودة إلى عملك.. وأنا الآن نذل لأنني لا أترك لك مجالاً لنسيان ذلك اليوم.. بل أجرّه إلى الواجهة.. فماذا في هذا؟ لماذا هذه الحساسية جانيس؟ يمكنك تحويله إلى حساب جيد.. عارضة جائعة للنجاح مثلك، لن تتوقع أن تبقى حياتها الخاصة بعيداً عن الأضواء.. فحياتك ستصبح عامة ما إن تحققي طموحك.. فلماذا التردد الآن؟ أنت تريدين النجاح.. أليس كذلك؟ ماذا تريدين أكثر من هذا؟ أن تصبحي جانيس يونغ العارضة العالمية لهذه السنة؟

كان وراء الكلمات حزم وتر أعصابها.. إنه على بعد ذراع منها وإن لامسها فقد... ماذا؟ فجأة هاجمتها تلك المشاعر التي اجتاحتها يوماً معه. أرادت أن تشعر مجدداً بها، لكنه ليس رجل الشاطىء.. إنه براند آشتون، الرجل البارد الذي لا يرحم.

قالت موافقة: «أجل.. هذا ما أريد».

استرخى التوتر، وحين تكلم مجدداً لم تجد في صوته غضباً، بل الرقة والتعب.

ـ إذن، لا جدال.. نفذي ما يطلبه السيناريو.. وسيكون كل شيء سهلاً لك.

رن جرس الهاتف الداخلي.. فارتد إلى منضدته وضغط الزر:

ـ السيد ويذرس على الخط سيد آشتون، يقول إن الأمر ضروري.

ـ أوصليه معي..

ما إن ابتعد عنها حتى ارتجفت جانيس تحت وطأة عجز موقفها.. كانت متعبة وضائعة.. تقدمت إلى النافذة، تنظر إلى المدينة خلفها ولكنها لم تر سوى ألمها.. كانت الأمور أسهل لو بقيا دون أسماء..

www.elromancia.com

فالآن اسمه، وكل ما يمثله، يقف بينهما كحاجز يصعب تجاوزه مجدداً.. إذا قالت له إنها تريده، فلسوف يحتقرها كما احتقرها بالأمس عندما تجاوبت معه ولا تظن أن التوسل سينفع معه.

ـ جانيس!

كان النداء حاداً، باتراً فنظرت إليه بحذر.

ـ أيمكنك التواجد طوال الاسبوع القادم؟ إن لم يكن ذلك ممكناً فما هي الأيام التي يمكنك فيها التواجد؟

ـ أنا حاضرة متى أردتني.

نظر إليها طويلاً.. ثم عبس عبوس قلق قبل أن يتكلم مرة أخرى هاتفياً:

ـ فليتم هذا بأسرع وقت ممكن. تأكد من مكتب الأحوال الجوية. ومن دائرة الملابس، ثم رتب ما تستطيع.. ويذرس أنت تعرف من أين تتلقى أوامرك.. ففي المستقبل عليك عدم الاهتمام بأي مطلب تطلبه السيدة مارثاين قبل أن تعيد المسألة لي.

ساد صمت قصير، قال بعده:

ـ ابق على اتصال بي لتبلغني عن تقدم العمل.. وارسل شخصاً إلى هنا ليرافق الآنسة يونغ.

قطب وهو يضع السماعة من يده، وكان لا يزال مقطباً حين واجهها.

ـ جانيس.. لو حاولت كارا الضغط عليك بشكل مباشر أو غير مباشر فأعلميني.. وإن لم أكن موجوداً أخبري ويذرس.. لن أتحمل أي تدخل في هذه المرحلة، هل ستعلميني؟

عندما هزت رأسها ابتسم ابتسامة باردة:

ـ لا شك عندي أنك ستنجحين.

ـ أرجو هذا.

كان ردها همساً أجش وكان حلقها جافاً، ولم تكن تشعر بالثقة بالنفس.

تردد قليلاً ثم تكلم بحدة:

ـ مع ويذرس رئيس فريق تصوير الفيلم، وسيعطيك السيناريو الكامل، وتجربة كاملة على زوايا التصوير.. وسيرافقك إلى قسم الملابس، وما إن تمضي فترة الصباح حتى تجدي ويذرس قد خطط لجدول الأعمال، وعندئذ ستعرفين كل شيء بالتفصيل.

تصاعد قرع على الباب.

ـ هذا مرافقك.. لا شك أنني سأراك على الشاطىء قريباً.

على الشاطىء؟.. أحست جانيس بالسقم لكنها بذلت جهداً لتخفي ردة فعلها، أما براند فرافقها إلى الباب... لقد عانت بما فيه الكفاية بسبب سخريته.. وطالبتها غريزة الدفاع عن النفس بإخفاء ضعفها عنه، وسلمها إلى الرجل المنتظر وهو يهز رأسه هزة خافتة.

سحبت جانيس نفساً عميقاً.. لقد صرفها براند آشتون بطريقة محض مهنية، وهذا ما لم يترك لها سوى أن تكون مهنية، فليكن هذا إذن..

سارت نحو أول بداية فعلية للعمل الذي ينتظرها.

* * *

٧ ـ تبحث عن سحرٍ ضاع

اقتربت لحظة الحقيقة بسرعة.. لم تكن التمارين تسير بشكل سيء ولكن جانيس عرفت أن وودي وينثرز لم يتأثر بأدائها. كان مخرج الفيلم الممتلىء الجسم يحثها ويناشدها، ثم يزفر أنفاسه من خلف لحيته الكثيفة، وما أكثر ما دلكت يداه كرشه الضخم، وما أكثر ما فقدت عيناه الزرقاوان بريقهما.. آخر كلماته المادحة كانت تفتقر للحماس.. الواضح انه اقتنع أنها لن تستطيع تقديم أفضل مما قدمت..

لم تكن جانيس واثقة من النتيجة كذلك، فهي تعرف أن الشاطىء يثبط عزيمتها.. حاولت إقناع نفسها أن الموقف لا يشبه ما مضى.. عربات «الكاراڤان» والمركبات الأخرى، كانت تصطف حول الكوخ الممتد طولاً.. والناس في كل مكان، كل مشغول بمهمات مختلفة.. كان مايكل ويذرس دائم الوجود، ليتأكد من عدم بروز المشاكل.. وكانت جانيس تلقى اهتماماً من جميع العاملين معها.. أما براند آشتون فظلّ بعيداً.. كل ما كان عليها أن تفعله، هو الانخراط بالدور المطلوب أكثر فأكثر... لكن هذا الدور يذكرها بفترة ساحرة.. والذكريات تؤلمها.

ارتدت ميرنا التي كانت تعدّل من وضعية المرآة التي تقف أمامها جانيس.. دفعت بتوتر خصلة الشعر الأشقر التي اندفعت إلى جبينها،

وضاقت العينان البنيتان الكبيرتان بجولة انتقاد.

ـ أعتقد أنه يلزمك أحمر شفاه أغمق من هذا.

فتشت في الحقيبة عن «الإصبع» المناسب.

انفرجت شفتاها قليلاً لتستطيع إخصائية التجميل إتمام عملها بنجاح.. ميرنا ويرنر مسؤولة الأزياء والماكياج وهي شخص كفؤ، فكل العاملين في مؤسسة آشتون أكفاء.. كان البرنامج كله يتقدم بتقدم الساعة.. بعد دقائق ستكون جانيس جاهزة لتصوير أول مشهد.. ستترك المقطورة، وتقترب من المياه وتبدأ الكاميرات بالدوران.

تراجعت ميرنا ويرنر لتتأمل المرأة مجدداً وهذا كاف..

ـ هذا كافٍ.. فستبدين طبيعية جداً في الفيلم.

نظرت إلى ساعتها:

ـ حان وقت ارتداء ملابس الدور.

خلعت جانيس ثيابها، لترتدي التيشيرت الطويل الذي سيكون فستاناً قصيراً لها. كان التيشرت مناسباً أكثر من قميص براند آشتون، لكن التأثير كان متشابهاً... وبدلاً من حزام رجل، وضعت طوقاً جميلاً من الأصداف، ولم يبق أمامها لتأدية الدور إلا حمل كيس بلاستيكي شفاف فيه مجموعة مختلفة من الأصداف.

قرع باب المقطورة.

ـ جاهزة ميرنا؟

إنه مايكل ويذرس.

ـ جاهزة!

ربتت ميرنا كتف جانيس بود ودلّت ابتسامتها على رضاها بما أنجزته يداها.

ـ تبدين جميلة.. حظاً سعيداً!

ـ شكراً لك.

كان صوت جانيس متحشرجاً وتصاعدت غصة توتر إلى حلقها.

استقبلها مايكل ويذرس بابتسامة عريضة.

ـ حان الوقت... الشمس على وشك المغيب.

نظرت جانيس إلى الأفق، كان البحر والسماء يستحمان بألوان متألقة بهية.. الآن ستلتقط الكاميرات آخر أشعة الشمس قبل أن تتركز على جانيس وهي تسير على الشاطىء.. رأت جانيس أن كل طاقم الفيلم متوتر.. وما إن بدأت المسير مع مايكل ويذرس فوق الرمال حتى لاحظت الجسد الطويل القوي الواقف إلى جانب المخرج، عندئذ تمسكت يدها بالذراع التي كانت تتأبط ذراعها.

سألها بلهفة: «نسيت شيئاً؟».

سحبت نفساً عميقاً لتهدىء من روعها:

ـ لا.. ذلك هو السيد آشتون.. أليس كذلك؟

ـ مع وودي؟ طبعاً. لن يفوّت التصوير أبداً، فهو المسؤول عن المشروع كله.

اشتد توتر أعصاب جانيس قليلاً.. كان عليها أن تتوقع حضوره.. ألم يقل لها إنه سيراها على الشاطىء... لكن غيابه حتى هذه المرحلة خفف من الضغط على أعصابها. وأن تمثل أمامه... الآن.. حيث لا وقت للتجربة والخطأ، سيسبب لها ضغطاً فكرياً شديداً. لن تستطيع القيام بالعمل، لكنها مضطرة للالتزام ولا مجال للهرب ولا مجال لتجاهل وجوده.. أدارها مايكل ويذرس بخط مستقيم نحو الرجلين.

هز براند آشتون رأسه يلقي عليها تحية عابرة وفي هذا الوقت جالت عيناه عليها مقوّماً إياها بشكل سريع.

ـ جانيس.. أنت تتقمصين الدور.. وينثرز يقول لي إن التمارين كانت سهلة.

نظرت جانيس إلى المخرج، لكن اهتمامه كان متوجهاً نحو طاقم

العمل.. وتصاعد لون الارتباك إلى خديها، وتمتمت: «كانت التمارين مقبولة، لا بأس بها».

قاطعهما وودي وينثرز فجأة:

ـ حان وقت أخذ موقعك جانيس.. قد نحتاج إلى عدة لقطات، ولا أريد أن تغيب الشمس قبل أن نكمل.. حين أعطي الاشارة.. تصرفي برقة وعفوية كما تدربنا.. اتفقنا.

هزت رأسها موافقة، وتجنبت نظرة براند آشتون..

تابع المخرج إرشاداته:

ـ سيري على الرمال الجافة لأننا لا نريد آثار الأقدام عليها.

أحست بالعينين السوداوين تلحقان بها.. اليد التي تحمل حقيبة الصدف أخذت تتعب، والرمال ضايقت قدميها. إنها تتذكر بعد ظهر ذلك اليوم بكل وضوح وها هي تشعر بالاختناق.. حاولت دفع الذكرى بعيداً لتستطيع التركيز على العمل الذي يجب أن يُنجز.. لكن براند آشتون كان يراقبها، ووجوده يعسّر عليها الأمر ويجعلها غير قادرة على التصرف بشكل طبيعي..

اتخذت الوضعية التي تدربت عليها، حيث يلتقي الرمل الجاف بالأمواج المتكسرة.. ركزت نظرتها على الكاميرا التي ستُظهر وجهها في اللحظة الحاسمة.

ـ مستعدون للتصوير؟

رد على نداء المخرج كل طاقم التصوير.

ـ جانيس؟

ـ جاهزة.

إنها جاهزة نسبة للظروف.

ـ آكشن!

اجبرت جانيس ساقيها على الحركة في خطوات مسترخية..

وغسلت موجة الصدفة التي ستكون أول وقفة لها. انحنت، والتقطتها ووضعتها قليلاً على أذنها لتصغي إلى صدى البحر، ثم رمتها في الكيس الذي تحمله.. كانت صدفة «الخيال» على بُعد عدة خطوات إلى الأمام.. أسرعت إليها، تحاول خلق الإثارة وهي تفتحها.. راحت تنفذ ما تمرنت عليه دون تردد أو ارتجاف أو أخطاء.. أخيراً استطاعت إغماض عينيها وراحت تداعب العطر على عنقها.

صاح المخرج بصوت باتر، غير متحمس:

ـ اقطع! سنلتقط المشهد.

انتهى الأمر.. وشعرت بالراحة ترسل خيوط الاسترخاء إلى جسدها ولكن صوتاً آخر قاطعها وأعاد إليها التوتر.

ـ فليبق الجميع في مكانه، أرجوكم.. وينثرز أريد مكالمتك.

كان صوتاً آمراً باتراً، والواضح ان براند آشتون لم يكن راضياً.

سلبت تنهيدة الانهزام كل اهتمام من نفس جانيس.. ووقفت متململة وأصابعها تعيد غطاء العطر بارتجاف.. عندما رنت بطرف عينها رأت أن الرجلين يتناقشان نقاشاً حاداً. عرفت انها نفذت ما كان يتوقعه وودي وينثرز منها.. وهو دون شك يؤكد لبراند آشتون أن اللقطة جيدة.

تفجر السخط: «هذا ليس ما اردته!».

جاء الحكم القاطع.

ـ لا تستطيع أن تعطيك ما لا تملك!

نظرت جانيس إلى صدفة «الخيال» التي بين يديها.. فليس للعطر سحراً عندها ووحده براند آشتون أعطاها ذاك السحر الذي تتلهف إليه.. وفي مكان ما.. ضاع ذلك السحر، تبدد مع رياح الشك وعدم الثقة.

لم تكن تعي الصورة المثيرة للشفقة التي ترسمها ورأسها منحنٍ وكتفاها منهزمتان. كان أحد أصابع قدميها يرسم دوائر لا هدف لها في الرمال وكانت تقاوم ألمها، لذا لم تدرك أن براند آشتون يتقدم نحوها

حتى اخترقت كلماته قلبها.

ـ ما هو الدور الذي تظنين أنك تلعبينه بحق الله؟ «مانيكان» من خشب؟

ارتفع رأسها بحدة، وكأنما شده خيط ما.. وضع يديه على كتفيها.. كانتا قويتين وفي قوتهما ما يدل على نفاد الصبر.. عندما أدارها لتواجهه رأت فمه رقيقاً مشدوداً بخط غاضب، وعيناه حائرتين ملؤهما التساؤل.

ـ لم يكن المشهد حياً جانيس.. لم تضعي فيه أي إحساس. ألا تريدين النجاح في هذا؟

ارتدت إليه وعيناها قد خدرهما ذكرى ما ضاع.

تحركت شفتاها تتمتم مدافعة: «قلت لك إنني لست ممثلة».

ـ لست مضطرة للتمثيل.. كل ما عليك فعله هو أن تتذكري.. ألا تتذكرين بعد ظهر ذلك اليوم.. جانيس؟ ألم يكن رائعاً؟

قالت بصوت مختنق: «لم يكن حقيقياً».

ـ بل كان حقيقياً.. أنت كنت هنا.. على هذا الشاطىء.. تخوضين هذا الماء، ووجدت صدفة وأحببت الحرية... لا يمكنك أن تنسي.

همست: «لا».

ـ إذن عيشي اللحظة مرة أخرى! افعلي هذا أمام الكاميرا.. أليس هذا ما تحبينه أكثر من أي شيء آخر؟

تلوى الألم على وجهها، وقالت ناحبة:

ـ أوه.. يا الله!

حاولت نزع نفسها من قبضته، وقالت بصوت ملؤه التوسل واليأس:

ـ أنت لا تفهم.

www.elromancia.com

ـ ما الذي لا أفهمه؟

هزت رأسها تبتلع الدموع.

ـ جانيس...

دفعتها اللهفة القاسية في صوته إلى الهستيريا.

ـ دعني! سأحاول.. سأحاول مرة أخرى.. لكن، يجب أن تذهب من هنا.. لا أستطيع القيام بالدور أمامك.. اذهب من هنا ودعني أنهي الأمر.. أرجوك.

حملت الهستيريا المجنونة في صوتها، التقطيب إلى وجهه:

ـ وهل أؤثر في أدائك؟

صاحت: «أجل.. لا..»!

لانت قبضته، ومرر يديه مداعباً على ذراعيها.. فارتجفت وابتعدت عنه: أرجوك.. لا تلمسني.

نظر إليها وعدم التصديق يتصارع مع إحساس آخر أكثر قوة، حرك نبضاتها لتقفز بسرعة.. ثم قال ببطء:

ـ حسناً.. سأذهب.. ستعطيني ما أريد جانيس؟

لم تستطع أن تعده:

ـ إذا.. استطعت.

أطرق برأسه، وارتد مبتعداً يسير نحو المخرج الواقف بكل صبر قرب أحد طواقم الكاميرات، ينتظر التعليمات التي أعطيت بإيماءات حادة باترة. ونادى براند آشتون مايكل ويذرس إلى جانبه وناقشه في شيء ما، ثم سار مبتعداً عن الشاطىء دون أن ينظر خلفه.. اتجه رأساً إلى اللاندروفر المتوقف على حافة الرمال.

صاح وودي وينثرز:

ـ حسناً..! فليتحرك الجميع! امسحوا آثار الأقدام عن الرمال، وأعيدوا الأصداف إلى أماكنها.. واعيدوا الفيلم للدوران.. هيا.. هيا!

إلى مركز العمل.. وبسرعة!

اشار إلى جانيس حتى تأخذ مكانها، فأطاعت.. كانت تراقب رحيل براند آشتون. دار محرك اللاندروفر، ثم اتجه على الطريق الترابية إلى الشارع العام.

سألها المخرج بصوت رقيق:

ـ أنت بخير؟ تبدين مصدومة قليلاً.

ـ أنا بخير.. كم بقي لي من الوقت؟

ـ حوالى عشر دقائق.. النور يتلاشى بسرعة.. يمكننا اقتطاع مشهد الغروب من اللقطة السابقة.. لكن من الأفضل ألا نضطر لهذا.. أتعتقدين أنك قادرة على القيام بالدور كما هو مطلوب؟

ـ سأذهب إلى مكاني.

هناك حدود لتأكدها.

أمضت جانيس الوقت، تستذكر ذلك اليوم الساحر.. وأقفلت الباب بقسوة على كل المخاوف والشكوك.. لم تسمح لنفسها أن تتساءل لماذا يجب أن تفعل هذا لبراند آشتون؟ لماذا يجب أن تعطيه هذه الهدية من أعماق نفسها؟ ولكن ثمة حاجة عميقة ملحة في أعماقها تطالبها بإظهار ما أحسّت به ذلك اليوم لبراند.

ـ آكشن!

دفعتها الكلمة إلى الحركة... أحست بتوترها يتلاشى بعيداً وبنسيم البحر يتلاعب بشعرها.. إنها قادرة على النجاح من أجله، انها تحس بكل شيء الآن.. عطر الحرية المسكر.. والبحر والرمال حولها فقط..

وهناك تلك الصدفة التي أحست ببهجة طفولية عندما رأتها، وتردد هدير في أذنيها ممتزجاً بصدى الكلمات التي قالت لها إنها جميلة.. وصدفة أخرى.. خيالية وردية.. العطر.. زاد من حدة عطرها رائحة الهواء العابث بالملح.. كانت لذيذة.. مغوية.. جميلة.. تداعب

www.elromancia.com

بشرتها.. وتذكرت يدين رقيقتين تعانقانها بحب... الآن أرادت أن تشعر بذلك الحب مجدداً.. كثيراً كثيراً جداً..

ـ اقطع!

جرت جانيس نفسها ببطء من الحلم الذي فرضته على نفسها.. وغمرتها موجة ثقيلة من الكآبة. ولكن الواقع عاد إذ ارتفعت الأصوات وتتالت الملاحظات من فريق العمل وأحست بالإثارة التي عمت العاملين حولها، ولكنها لم تتأثر بمن حولها.

صاح وودي وينثرز هادراً وارتفع صوته فوق الضجيج.

ـ ضعوا الفيلم في علبته، واعتنوا به بقفازات وردية.

صاح أحدهم:

ـ هل أنت متأكد أنك لا تريد لقطة أخرى.. وودي؟

ضحك المخرج: «أسكتوا ذلك الأحمق».

وتقدم إلى جانيس، يضمها إليه معانقاً إياها.

ـ كان عظيماً! عظيماً! سنغلف هذا الاعلان بالذهب إذا لعبت الدور هكذا غداً.. جميل! جميل جداً!

احمر وجه جانيس حرجاً، وتخلصت من ذراعيه، تتمتم: «مسرورة أنا لأن المشهد أعجبك».

ـ أعجبني! يا إلهي! لقد ارسلت رعدة في أوصالي.

تلاشت ضحكته وهو يحس بابتعادها عن مسرحه.

ـ هاي.. انت لا تشعرين أنك قمت بعمل بارع، أليس كذلك؟

هزت كتفيها: «أنا لست ممثلة، على الإحساس أن يكون موجوداً.. وأنا الآن متعبة.. إذا انتهى كل شيء اليوم، فسأذهب إلى مقطورتي».

سارع لتلبية طلبها.

ـ سأوصلك.

ـ لا.. أفضل الذهاب بمفردي ولا شك أن لديك عملاً تنجزه.

ـ كما تشائين.

ارتدت جانيس لتذهب، لكن يده امتدت لتوقفها، فالتفتت إليه متسائلة.

ـ هلاّ قلت لي شيئاً؟

ـ هذا وقف على ما هو هذا الشيء.

ـ أنا أعمل في هذا المجال منذ زمن طويل، ولست غبياً في عملي، أعرف تماماً كيف أستخرج أفضل ما عند الذين يعملون معي.. بعد ظهر اليوم استخدمت خبرتي كلها معك، ولكنك لم تقومي إلا بالاداء الآلي فقط، ثم تكلم معك براند آشتون فتغير كل شيء، من العمل بشكل آلي إلى العمل بشكل حيوي خيالي فماذا قال لك؟ أنا مستعد دوماً لتعلمّ الخدع الجديدة.

ردت بحدة لم تكن تريدها:

ـ اسأله.

ضاقت عيناه بريبة:

ـ إنه ليس رجلاً أهتم بإغضابه.

شقّت ابتسامة قلق شفتي جانيس.

ـ اعتقد أنني لن أهتم بإغضابه أيضاً. شكراً لموقفك وصبرك عليّ.. وارجو أن أتمكن من إرضائك غداً.

تركها دون تعليق، ولكنها لم تستطع الذهاب بمفردها إذ تقدم مايكل ويذرس ليسير معها.

ـ يبدو وودي مسروراً.

ـ أجل.

ـ الواضح أنه التقط ما يريد.

ـ بل ما يريد براند آشتون.

www.elromancia.com

سارا بضع خطوات بصمت.

ـ تبدين محبطة قليلاً.. هل هناك ما يمكنني فعله من أجلك... جانيس؟

رمته بنظرة قلق:

ـ لا.. أريد فقط تغيير هذه الملابس والعودة إلى مقطورتي، لأنفرد بنفسي فترة، هل ينال هذا موافقتك؟

ـ ليست المسألة مسألة موافقتي.. أنا أريد فقط أن أتأكد من...

قاطعته متنهدة:

ـ من عدم وجود مشاكل، أعرف. حسناً، لقد حصل على ما يريد، فلا مشكلة إذن.. ويجب أن أعيش مع الفكرة، هذا كل شيء.

اغرورقت عيناها بالدموع وأصبحتا ضباباً أخضر ملؤهما الألم.

ـ أتعرف ما هو الأسوأ في كل هذا؟ إنه لا يعرف بالضبط، ما حصل عليه.

تحوّل وجه مايكل ويذرس إلى رسم كاريكاتوري لأنه لم يفهم شيئاً.. وأشار بيده احباطاً:

ـ هلا شرحت لي..

وصلا مقطورة ميرنا ويرنر. مسحت جانيس عينيها، وسحبت نفساً عميقاً.

ـ لا يهم... أنا أهذي فقط.. رُدَّ ذلك إلى مزاجي كفنانة... أرجوك دعني وشأني الآن.

قبل أن يقول المزيد، فتحت جانيس باب المقطورة ودخلتها، ميرنا ويرنر لم تكن هناك.. سارعت جانيس إلى تغيير ملابسها وكانت على وشك الخروج حين دخلت ميرنا مسرعة، تقول بأنفاس مقطوعة:

ـ آسفة! لم أعرف أنك قادمة. أتحتاجين إلى مساعدة؟

ـ لا... شكراً لك. كنت على وشك الخروج.

ـ هل أنت على ما يرام جانيس؟ يظن مايكل أنك بحاجة إلى صحبة.. سأرافقك إذا احببت.. فقد يساعدك أن نتبادل الأحاديث فحتى العاملون القديمون مثلنا لا يرون إداء كهذا إلا نادراً.

ابتسمت جانيس:

ـ وهل يفتعل مايكل ويذرس دائماً الضجة وكأنه دجاجة ترعى صيصانها؟

ردت ميرنا الابتسامة...

ـ لا تلوميه.. فأنا لم اشاهد قط السيد آشتون متوتراً هكذا. ستحب السيدة مارثاين بالتأكيد رؤيته يقع على وجهه في مشروعه هذا.. فلتلك الساقطة...

صمتت، وكأنها أدركت فجأة انها أفشت سراً.

ـ حسناً، لا بأس، تلك سياسة الشركة. أهنئك... وودي يسير نافخاً كرشه والجميع مسرور.. كلنا نحترم براند آشتون... ونحب طريقته في إدارته للشركة، لكن شقيقته... سافلة.

قالت جانيس:

ـ لا تهمني كارا مارثاين كثيراً... شكراً لك لأنك عرضت علي صحبتك لكنني أفضل البقاء وحدي.

ـ حسناً.. سأراك وقت العشاء إذن.

ترددت جانيس.. العشاء سيقدم في الكوخ الخشبي.. تكدرت من فكرة الجلوس هناك فالذكريات تهاجمها شيئاً فشيئاً.

ـ أظن أنني سأحضر لنفسي وجبة سريعة في المقطورة، وأنام باكراً.. فهلا اعتذرت نيابة عني للآخرين؟ أرجوك ميرنا.

جعدت تقطيبة جبين المرأة، ونظرت بقلق ولهفة إلى جانيس:

ـ هل أنت واثقة أنك على ما يرام؟

ـ أجل.. لا تقلقي. سأكون بخير غداً.

www.elromancia.com

عندما خرجت، هزّت رأسها محيية مايكل ويذرس المنتظر في الخارج، ثم اتجهت رأساً إلى مقطورتها المتوقفة خلف الكوخ إلى يسار خزانات الماء. صعدت إليها واقفلت الباب. إن خزانة المؤن والبراد ممتلئان وهذا يعني أنها لا تحتاج إلى شيء أو أحد، ويمكنها أن تتصرف كما يشاء قلبها.. ولكن لا شيء قد يرضي قلبها.

المقطورة عبارة عن سرير مزدوج مريح... صعدت إليه لاحقاً، ودفنت رأسها في الوسائد. الدموع التي كبتتها طويلاً وجدت طريقها للانهمار، دموع تعب ترافقها دموع البؤس.

أزعجها القرع على باب المقطورة، ولم تتحمله.. وجرّت الوسادة فوق رأسها، تفكر بتمرد.. فليذهب الجميع إلى الجحيم.

وتمسكت بعناد بالصمت.

ـ جانيس.. أعرف انك في المقطورة، فإما ان تفتحي وإلا دخلت.

سرت البرودة في دماء جانيس.. إنه براند آشتون.. لكنه رحل.. لقد رأته يرحل، فكيف يكون هذا صوته؟ إلا إذا عاد ليتأكد من أدائها.. لكن لا بد أن وودي وينثرز طمأنه، فماذا يريد الآن؟ ألم تمنحه ما فيه الكفاية من نفسها اليوم؟

ـ جانيس.. سأدخل الآن.

إنه قاس لا يرحم.

ـ لا! انتظر!

اطلقها الذعر إلى خارج السرير.. لا يمكنها أن تتركه يراها هكذا، ملطخة بالدموع، مشعثة، ودفاعاتها مشتتة.

نادت مجدداً:

ـ لن أتأخر دقيقة.. أرجوك انتظر.

وركزت بشراسة حتى تستجمع ذاتها.

أسرعت نحو المغسلة ثم رشت وجهها بالماء البارد آملة بهذا أن

تضع قليلاً من اللون فيه.. بعد ذلك مررت الفرشاة في شعرها، ثم سحبت نفساً عميقاً. وخطت إلى الباب، وما أن فتحته حتى دخل براند آشتون.

ما إن اغلقت الباب وراءه حتى وبخت نفسها فكيف لم تفكر في الخروج من المقطورة فقد سيطر وجوده على المساحة الصغيرة، لأنه كان على مقربة شديدة منها. وفي محاولة للتخفيف من وجوده المثير للاضطراب، جلست في أحد المقعدين المثبتين حول الطاولة، ولكنها اختلست إليه نظرة وأشارت إليه أن يجلس قبالتها.

ـ أرجوك اجلس.. سيد آشتون.

كانت الكلمات فورية ولكنها جافة، والواضح أنها متململة... لكنه لم يتحرك فاضطرت إلى رفع نظرها إليه، عندئذ حرقت عيناه السوداوان عينيها، وكان فيهما تساؤل ولهفة.. غير أنها سارعت إلى غض طرفها وتكلمت بسرعة في محاولة لإخفاء اضطرابها:

ـ لماذا تريد رؤيتي! لقد أنهينا العمل اليوم، كان السيد وينثرز راضياً عن آخر مشهد صوره.

جاء الرد:

ـ بل أكثر من راض.. فلماذا أنت متكدرة؟

ـ لست متكدرة.. أنا متعبة، وهذا كل شيء.

وأطرقت برأسها تنظر إلى الطاولة.

ـ وينثرز، ويذرس، ميرنا ويرنر، كلهم قالوا الشيء ذاته.. أنت متقوقعة على نفسك بشدة.. وهذا ليس رد الفعل الطبيعي على النجاح، جانيس.

غضبت من هذا التوبيخ الساخر، وأطلقت لسانها قبل أن تتمكن من كبحه:

ـ لقد فعلت ما أردت أنت.. ولم أضيع مالك سدى.. فماذا تريد

www.elromancia.com

الآن؟ قل ما تريد.. قله ثم اتركني وشأني.

هل ما تراه هو مجرد انعكاس للعذاب الذي في عينيها، في عينيه؟ للحظة حيّة، بدا أنهما عادا روحاً واحدة، في هذه اللحظة أغرتها نفسها أن تمد يدها إليه تتوسل أن يفهم الحاجة إلى استعادة تلك المشاعر التي حركت كيانها كله. وبدا وكأنه يولّد القوة الدافعة وراء هذا الاحساس.. لكن لا.. لا.. لا يمكن أن يكون هكذا.. ليس بعد كل ما قاله وفعله.. انتزعت عينيها منه. ولئلا تغرق بضعف أحمق وضعت مرفقيها على الطاولة تغطي وجهها بيديها.

ـ جانيس...

أفي صوته توسل؟ ولكن اللهفة في صوته تشير إلى هذا، إنما.. إنما لن تسمح لنفسها أن تصدق.. سمعت نفسه الحاد وتنهيدته قبل أن تمتد يداه إلى كتفيها. تقوقعت على نفسها لأنها تذكرت كيف أدانها عندما استجابت للمسته في أول لقاء لهما في مكتبه.

سحب لمسته بسرعة.

ـ جانيس.. إذا كنت لا تريدين المتابعة.. إذا كان ما طلبته.. إذا كان يؤلمك.. فسأعفيك من العقد.. لم أرد أن أؤلمك جانيس.

لمست كلمات الاهتمام قلبها بألم وذكرتها بالرجل الذي كان على الشاطىء، ولكنها ذكرت نفسها: خيال.. وما هذا إلا تعاطف مع الضغط العاطفي الذي تسببه لها.. أحرقت الدموع مقلتيها، لكنها أجبرتها بحزم على التراجع.. يا الله إنها لا تريد المتابعة.. لكن ماذا يمكنها أن تفعل غير هذا الآن؟ أين تذهب؟ إلى أمها.. إلى ستيفنز.. لتعترف لهما بالفشل؟

قالت بصوت مختنق بائس:

ـ ليس لدي خيار آخر. يجب أن أتابع.

أثار صمته أعصابها.. اذهب من هنا.. اذهب من هنا.. أخيراً

تكلم وبدا صوته متوتراً كما تشعر جانيس:

ـ أنا آسف.. لا أقصد أن أضع مزيداً من الضغط عليك بزيارتي هذه. أردت فقط أن.. أن اعلمك أن لا مجال لطلب التعويض فيما لو رغبت في التخلي عن العقد.. وأرجو لك النجاح غداً.

ثم ذهب.. وتردد صدى باب المقطورة في الفراغ الذي تركه.. وأحسّت جانيس وكأنها محارة فارغة، انتزع قوة الحياة منها.. لماذا الآن هكذا؟ ما الذي جعله يندم على ربطها بالعقد، الذي وضع شروطه دون رحمة؟

جرّت نفسها وصنعت إبريقاً من الشاي وقطعت بعض الجبن، وقليلاً من البسكويت.. كان على قطع البسكويت الجافة أن تغتسل لتمر في حلقها، لكنها تابعت المضغ.. ما من جدوى في أن تجعل نفسها ضعيفة من قلة الطعام، يجب أن تكمل عملها في القصر.. ولسوف يحصل براند آشتون على الإعلان الذي يريد.. ولسوف تضطر كارا مارثاين أن تعترف بالهزيمة.. أما جانيس.. فستحصل على مستقبل مهني.. مستقبل فارغ لا معنى له، مليء بالأنوار المشعة، والظلام النفسي.

خلعت ملابسها.. هواء الليل كان قد انقلب بارداً بشكل غير متوقع.. برجفة صغيرة ارتدت ثياب النوم، واطفأت النور، ثم صعدت تحت البطانيات. أدارت الوسادة المبللة دموعاً، وسوت نفسها بارتياح عليها.. مع ذلك راوغها النوم.. فتحت النافذة تصغي إلى هدير البحر المهدىء.. كان يجب أن يهدىء أعصابها لكنه لم يفعل. تلوت وتقلبت، جسمها لا يرتاح مع الكثير من الأشواق المحبطة.

سمعت أصوات الآخرين المخنوقة وهم يتوجهون إلى النوم.. في محاولة لإبعاد الأفكار المزعجة، ركزت على التقاط أصوات الطبيعة، أزيز الحشرات، نداء الطيور، هسهسة اوراق الشجر.. أخيراً استولى

عليها النوم، لكنه كان مليئاً بالظلال، أشياء لا اسم لها ومخيفة، عذبت لاوعيها ولم تعطها أية راحة.

* * *

٨ ـ أنت أو لا أحد

استيقظت جانيس متعبة متململة. الضجة في الخارج أنبأتها أن العمل بدأ. لن يتم تصوير المشهد الأخير في الإعلان إلا بعد غياب الشمس، لكن تحضيرات الدقائق الحاسمة ستستمر طوال النهار... وخافت جانيس من تلك اللحظات التي كانت تلوح أمامها وكأنها كابوس.

حلمت مرة أن تكون نجمة شهيرة تكرم مع المشاهير، ويعجب بها كل من في أنحاء العالم. لكنها لم تحلم قط بالثمن الذي يجب أن تدفعه لتصل إلى النجومية.. الكلفة الشخصية الصرفة التي ستعري حياتها من كل الخصوصيات التي تثمنها، إنه ثمن مرتفع جداً.. وأن تمثل ما يجب أن تمثله هذا المساء، سيتركها مهجورة عاطفياً.

لن تستطيع أن تكمل.. ولن تكمل، ويجب على براند آشتون أن يكتفي بأقل مما يريد. حتى ولو كان هذا يعني أن تحرق فرصتها بالحصول على العقد الكبير. إنها لا تريد عقداً معه. وجوده يجلب إليها دوماً الألم والارتباك.

ناداها مايكل ويذرس:

ـ جانيس.. الفطور بعد عشرين دقيقة، هل أنت مستيقظة؟

ـ أجل.. سأخرج في الوقت المناسب.

www.elromancia.com

تناولت الفطور وهي تشعر بالكآبة ولكنها لم تأكل إلا القليل قبل أن تخرج من الكوخ الخشبي بأسرع وقت ممكن.. أخذت قهوتها إلى الخارج، إلى حيث وجدت بضعة كراسي قابلة للطي موضوعة تحت الأشجار وانضم إليها مايكل ويذرس الذي تغضن جبينه من القلق.

ـ هل أنت على ما يرام جانيس؟ تبدين شاحبة قليلاً هذا الصباح.

ابتسمت: لأنني دون تبرج.

لم يستجب لابتسامتها:

ـ هل هناك مشاكل أستطيع معالجتها؟.

تجنبت نظرته الثاقبة ونظرت إلى البحر:

ـ لا.. إنه صباح مشرق.. أليس كذلك؟.

تنهد وجلس على كرسي إلى جانبها:

ـ يجب أن يكون يوماً مشرقاً... إذا سار كل شيء على ما يرام.

ارتشفت قهوتها، بينما أخذ مايكل يلقي نظرة على برنامج العمل معها ليتأكد من أنها تعرف أين يجب أن تكون، ومتى.. كان هذا الشيء غير ضروري، لكن جانيس تركته يتابع الكلام تفضل أن يكون الحديث عاماً.. أخيراً اعتذرت لتغير ملابسها للتمارين الصباحية.

يتطلب منها مشهد حورية البحر أن تكون في الماء.. لذا ارتدت جانيس ثوب رقص باليه ضيق، لكن مريح.. التقطت منشفة شاطىء كبيرة، وعادت إلى مايكل ويذرس.

جذب انتباه مايكل هدير سيارة تقترب فلحقت جانيس بنظرته ثم سرعان ما توترت عندما رأت لاندروڤر براند آشتون.

ـ هذا بيترسون دون شك.

ـ أوليس السيد آشتون؟.

ـ اللاندروڤر هو للشركة.. هل كنت تتوقعين السيد آشتون هذا الصباح؟.

ـ لا.. أنا.. لا.

عندما توقف اللاندروڤر قربهما، كانت قد نجحت في اخفاء توترها الداخلي. وسرعان ما تعرفت جانيس على السائق.. إنه مدير العلاقات العامة، أما الراكب الذي معه فقد كان يتيه بكل ثقة وتعجرف الرجل المعتاد على التزلف إليه. كان طويلاً، أسود الشعر، وسيماً.. خصلات شعره مجعدة سوداء، وعيناه بارقتان وأسنانه ناصعة البياض وجسمه مصقول بادي القوة.

جالت عيناه على جسد جانيس صعوداً ونزولاً، وارتفع حاجبه بخبث عندما قال:

ـ أنت جانيس يونغ؟ الساقان أعرفهما، لكن الجسم والوجه شيء آخر.. لقد تحولت حورية البحر قطعاً إلى امرأة مغرية.. شيء ما ينبئني أنني سأستمتع أن أكون حبيبك.

ردت بصمت: أبداً... أسخطها غروره الأحمق، وأغاظها أكثر فكرة أن تكون بين ذراعيه.

قام مايكل ويذرس بالتعارف.. وهزت جانيس رأسها ببرود، وأدارت اهتمامها عمداً إلى الحديث الدائر بين الرجلين الآخرين.

ـ هل من رسالة؟.

هز السائق رأسه نفياً.

ـ يجب أن أعود فوراً.. مع أن لدي أخباراً لك. سأقود السيارة بعد ظهر اليوم حاملاً معي السيدة الكبيرة نفسها.

ـ ايڤا آشتون؟.

ـ والسيدة مارثاين، كلتاهما قادمتان.

ران صمت قصير ملؤه الحيرة قطعه كايرد بيترسون ليظهر أهميته.

ـ السيدتان تريدان رؤية المشهد، كما هو واضح.. ولن أخيب أملهما...

قال مايكل ويذرس:

ـ حسناً.. لا شك أنك ستحقق غايتهما.

التفت بقلق إلى جانيس ليرى ردة فعلها.. لكن وجهها الجامد بحذر لم يكشف شيئاً عن توترها الداخلي.

ـ شكراً للمعلومة.. واعمل على أن تكون الرحلة مريحة.

ضحك السائق:

ـ لا تقلق.. فلا أحصل كل يوم على شرف أن أكون سائق الملكة... أراكم فيما بعد.

عاد إلى اللاندروفر ملوحاً وهو ينطلق.. وتنهد مايكل ويذرس ثم ارتدّ إلى الاثنين اللذين في عهدته.. قبل أن يقول شيئاً، استرعت اهتمامهم صيحة عن الشاطىء... وأخذ وودي وينثرز يشير إليهم بالمجيء إليه.

وضع كايرد بيترسون ذراعه على كتفي جانيس وقال:

ـ لا راحة للمساكين.. فلنذهب طفلتي.

تصلبت جانيس.. وعدوانيتها ازدادت عمقاً إلى درجة الكره. هذا الرجل الكريه هو الذي سيمثل معها دور الحبيب! كيف تستطع أن تتجاوب معه بالتمثيل فيما جسدها كله يصرخ رافضاً كل لمسة من لمساته؟

قالت ببرود، وهي تبعد ذراعه عن كتفيها:

ـ لم نبدأ التمرين بعد سيد بيترسون.

ركزت نظرها على وودي وينثرز وتقدمت نحوه، ترفس الرمل بأقدام غاضبة.

لحق بها كايرد بيترسون بسرعة دون أن تردعه برودتها..

ـ هذه فرصتنا الكبيرة لعبني... شهرة واسعة في العالم! وأنا أريد أن أستفيد من الفرصة أكبر استفادة ممكنة.

الأفظع والأهم أنه يأخذ نفسه على محمل الجد.. إنه يعتقد فعلاً أنه أكبر هبة عالمية للنساء.. وهذا الاعتقاد امتد إلى التمارين.. فقد حاول تحويل العناق في مشهد الحورية إلى تهجم واسع النطاق عليها جعلها ترتجف قرفاً.

قاطعه وودي وينثرز بجفاء:

ـ لا وقت لكل هذا بيترسون.. فليكن العناق صغيراً ورقيقاً.. نحن لا نصور فيلماً سينمائياً كاملاً.. دع العمل يسير بسلاسة ودع الدقة لما بعد.

استلزم وقتاً كبيراً لتوقيت المشهد الثاني بدقة.. فبعدما رفعها من الماء وعانقها، كان على جانيس أن تدفع الحبيب عنها، ثم ترقص بضع خطوات لإظهار الفرح بالحصول على ساقين بدلاً من ذيل سمكة.. وكان عليها أن ترقص بفرح وحبور ثم العودة إلى الحبيب، ليرفعها في الهواء ثم ينزلها ببطء في عناق منزلق... واستفاد كايرد بيترسون قدر استطاعته من ذلك العناق.. إذ راحت يداه تكتشفان كل زاوية.. وما إن أصبح وودي وينثرز راضياً عن التقدّم حتى كانت جانيس تحس بالغثيان من ملامساته القذرة.

ـ الغذاء ثم الراحة الآن.

بعثت الكلمات الراحة إليها.. والتقطت جانيس منشفة الشاطىء ولفتها حول نفسها، لكنها أحست بالبرد يخترق أعماق روحها.

قال وودي آمراً:

ـ جانيس تعالي وسيري معي.

سارت إلى جانبه حافية. وسار المخرج لاهثاً على الرمال وبسبب تقدّمه البطيء استطاعا الابتعاد عن مدى السمع.

ـ جانيس.. إذا ظننت أنني سأصوّر المشهد بالشكل الذي مثلته قبل قليل، فأفضل السير إلى البحر وإغراق نفسي.. تركت المشهد يمر لأن

www.elromancia.com

لك الحق التقني. لكنني أقول لك الآن.. إن لم تتفاعلي مع الحدث حين نصور هذا المساء فسنحظى بفيلم ميت وسيضيع كل السحر الذي التقطناه بالأمس هباء.. هل تفهمين هذا؟.

ـ أجل.

نظر إليها... إذ لم يعجبه ردها المختصر.

ـ هذا الأمر بغاية الأهمية لي جانيس.. الرجل يتعب من أفلام الدعاية العادية حتى ولو كانت جيدة. هذا الفيلم مميز.. أيمكنك التفاعل مع المشهد؟

إنها كلمات براند آشتون.. كلمات فارغة لا معنى لها.. تطلب المستحيل.. فليس لها سوى حبيب واحد.. ولهذا الحبيب وحده يمكنها اطلاق العنان للمشاعر الدفينة التي يتطلبها الخيال.. لكن مع كايرد بيترسون.. هذا مستحيل!.

ردت بصوت مراوغ.

ـ سأحاول.

أظهر وودي وينترز سخطه بأن توقف وقطب بعبوس شديد نحوها:

ـ هناك وقت لمزيد من التمرين بعد الظهر.

ـ لا.. لا أريد المزيد.. لن يخدم هذا أي هدف. فكما قلت لي الحق التقني.

ـ أجل! التقني! حسناً، فليكن ما تريدين والله يعلم أن لا قول لي في كل هذا.

اعتذرت جانيس وسعت إلى نشدان العزلة في مقطورتها. هنا على الأقل ستكون حرة من أية أسئلة.. ولن يزعجها كايرد بيترسون. خلعت ثيابها ونظفت نفسها، ثم صنعت بعض الطعام وأكلته دون شهية. بعد ذلك استلقت على السرير فجرها الإرهاق إلى نوم عميق لا أحلام فيه...

طالبها نداء ملح بالخروج من المقطورة لكن لا وعيها لم يرغب في الاستجابة، فتمسكت بالفراغ المظلم، حتى أحست بيد تهز كتفها.. حركت رأسها على مضض وفتحت عينيها. للحظة أحست بالضياع الكامل، ثم تعرفت إلى وجه المرأة التي كانت تطل عليها وبدأ الوعي يزحف إلى دماغها بقوة، فتأوهت مستديرة.

قالت ميرنا ويرنر بلطف:

ـ آسفة جانيس.. لكن يجب أن تنهضي الآن. لا نريد أن نخسر الوقت.

رفعت جانيس نفسها عن السرير، واتجهت إلى المغسلة حيث رشت الماء على وجهها، ثم شربت بسرعة وأشارت إلى ميرنا أنها جاهزة.

قالت المرأة بصوت ملؤه الشفقة:

ـ تبدين مرهقة.. لكننا سنفعل شيئاً بهذا الخصوص.. ألم تنامي جيداً ليلة أمس؟.

ردت باختصار: تململت كثيراً.

ـ وعملت جاهدة. لابأس. سينتهي كل شيء اليوم...

وقفت ميرنا التي راحت تحرس باب غرفة الغسيل، لأن جانيس تستحم وتغسل شعرها بالشامبو. ولكنها كانت تسرع بغسل نفسها لأن في هذا المكان ذكريات كثيرة... لفت نفسها بروب منشفة، ورافقت ميرنا إلى مقطورة الملابس.

على عكس الأمس، كان لدى ميرنا أشياء كثيرة تقوم بها، فقد سرّحت شعر جانيس بعناية أكبر وطلت أظافر يديها وقدميها بلون وردي لؤلؤي. بعد ذلك جاء دور التبرج. وضعت لوناً خفيفاً على خديها أضاء بشرتها ولوناً ورديّاً على شفتيها، أما ظلال العيون فأبرزت عينيها.. بعد ذلك لمست فرشاة ميرنا فوق حاجبي جانيس المقوسين بلون براق

www.liilromantic.com

ووصلت إلى جفنيها فظللتهما بلون أخضر قاتم ثم أخذ يخفّ تدريجياً حتى أصبح فضياً أخضر فوق عينيها. تحت الرموش السفلى، كررت اللون الأخضر الفضي، إضافة إلى لمسات براقة صغيرة.

تطلب تحضير ثوب الحورية ليصبح مناسباً لجانيس وقتاً طويلاً. كان عليها إلباسها تنورة ضيّقة من القماش المطاطي الذي سيجعل ساقيها ملتصقتين. وفوق هذه التنورة سترتدي تنورة أخرى لها ذيل مصنوع من البلاستيك وبهذا أصبح القسم السفلي في جسمها لذيل الحورية جاهزاً أما الجزء العلوي فتصميمه كان أسهل.

رُصّع الذيل بالخرز البرّاق ليكون على شكل حراشف صغيرة وهذا الخرز البرّاق أعطاه مظهر السمكة المتلألئة تحت أشعة الشمس. أما القسم العلوي فكان عبارة عن قماش رقيق بلون البشرة.

كان آخر الزينة، عقداً مع قلادة وهو عبارة عن منمنمات صغيرة من أصداف «الخيال» الوردية التي صفّت في سلسلة فضية في وسطها العطر.. وهذا كل ما ستستخدمه جانيس عند تمثيل الدور.. فهي ستتلمس الزجاجة حالمة حين يأتي حبيب «الخيال» ليفاجئها.

ابتسمت ميرنا: «الآن أنت تبدين خيالية رائعة!».

استلقت جانيس أرضاً على قطعة من القماش فشعرت وكأنها ديك رومي محشو معد طعاماً للأسود أو بالأحرى للبوءات... كانت ميرنا قد أبلغتها أن ايڤا آشتون وكارا مارتاين قد وصلتا منذ عشر دقائق.. ولكنها لم تذكر أن براند آشتون وصل ولم تشأ جانيس أن تسأل عنه.. انها لا تريد أن تفكر فيه أو في أي شيء آخر فجلّ ما تريده هو الانتهاء من كل شيء، ورميه وراء ظهرها.

قرع مايكل ويذرس الباب وما إن رأى الحورية أمامه حتى برقت عيناه إعجاباً.

ـ جاهزة للخروج.. هذا الزي عمل عبقري ميرنا.. لم أر شيئاً

مغوياً مثله قطّ.. لا أقصد إغضابك جانيس.

ردت بجفاء: «لا شك أنه سيساعدني في تمثيل أول مشهد».

أشار إلى الخارج، فدخل سائق اللاندروڤر الشاب الذي نظر إليها بذهول.

ـ واو..! ربما يجب أن أتعلم صيد السمك.

ضحكت ميرنا: كفى! إذا مزقتما حرشفة واحدة وأنت تحملها إلى الخارج فسأقطع رأسيكما.

التقط الرجلان جانيس بناء على تعليمات ميرنا وحملاها إلى الشاطىء.

أبعد وودي وينترز نفسه عن كايرد بيترسون وأمر الكاميرات أن تستعد ثم أعطى التعليمات لوضع جانيس في المكان المناسب عند حافة الماء... الواضح أنه كان يراقب حركة الأمواج.. ووضعت جانيس في مكان حيث تلمس المياه الذيل برفق. ألقى نظرة على وضعيتها ثم أبعد ذراعها التي تستند إليه إلى الوراء قليلاً بحيث أصبحت تجلس مائلة أكثر، ثم عاد إلى منصة الكاميرا ليتأكد أن الزاوية صحيحة.

لم تنظر جانيس حولها.. مع أنها رأت الجموع واقفة خارج نطاق الكاميرات، لكن كان من السهل أكثر أن تتظاهر بأن هذا أمر لا يعنيها، وتحرك فريق العمل حولها يمسح آثار الاقدام. عاد إليها وودي وينترز لاهثاً ووقف فوقها وعلى وجهه نظرة تجهم وتصميم.

ـ حسناً.. الأمر الآن بين يديك يا ابنتي.. تبدين رائعة بما فيه الكفاية لتذهلي المشاهدين على أي حال. ولكنني أريد أكثر من هذا.. أمامك خمس دقائق للاندماج بالدور... وحباً بالله! تفاعلي معه.

ارتفعت أصابع جانيس إلى صدفة عطر «الخيال» المعلقة حول عنقها.. ونظرت إلى البحر محاولة صد كل ما في رأسها، كل الأفكار المؤلمة التي تعذبها.. وشيئاً فشيئاً طغى البحر على كل شيء...

www.elromancia.com

آكشن!.

لكن البحر كان فارغاً.. إنها بحاجة إلى شيء، إلى شخص ما ليشاركها فراغ عالمها.. شخص يبعث فيها الحياة. كانت المشاعر في أعماقها متوثبة للانطلاق والعطاء والمشاركة وهي ليست بحاجة لأكثر من لمسة واحدة مناسبة.

كانت اللمسة حين أتت ليدين دافئتين قويتين رفعتاها إلى ذراعين متطلبتين احتضنتاها بتصميم... فشعرت غريزياً أنها تقاوم، إذ راحت تدفع بذعر الكتفين القاسيتين وأحنت رأسها إلى الخلف تقاتل بيأس لتتخلص من العناق الكريه.

ـ اقطع!.

بقيت تحفر تمردها بأظافرها حتى بعد أن أبعدها عنه. وصاح كايرد بيترسون:

ـ أيتها السافلة! لقد أفسدت المشهد كله! لماذا قاومتني؟

فجأة وصل وودي وينترز: «اخرس بيترسون!».

وأخذها بين ذراعيه، يدعمها بلطف.

قال كايرد محتجاً بغضب:

ـ لم تكن غلطتي! لقد انقضت علي كقطة الجحيم.. يا الله! قد تظن أنني كنت أحاول اغتصابها، أو شيء من هذا!.

ارتجفت جانيس تخبيء وجهها في قميص صاحب الكرش.

تمتمت: أنا آسفة.

تلقت ربتة مواساة على رأسها.

ـ لا تقلقي لشيء.. يمكننا اقتطاع هذا المشهد الأخير.. فالباقي كان رائعاً... ممتازاً! وهذا كل ما يهم حتى الآن... سننتقل إلى المشهد التالي.

ترقرقت الدموع في عينيها.. وقالت بصوت مختنق:

ـ لا أستطيع الاستمرار.

اشتدت ذراعاه حولها:

ـ بل تستطيعين: يجب أن تستمري.. يا إلهي! امرأة تتقمص الدور كما فعلت الآن تستطيع القيام بكل شيء، هدئي روعك الآن بينما تعدّك ميرنا للمشهد الأخير.

عبث بشعرها بحنان وتشجيع ثم رفع صوته منادياً:

ـ ويذرس! تحرك وعاملها بحذر! إنها بضاعة غالية.

مرة أخرى، حملت جانيس عن الشاطىء وأغلقت أذنيها عن دمدمة الأصوات من حولها.. لحسن الحظ أن مايكل ويذرس ومساعده بقيا صامتين. وأنزلاها بعناية على قطعة القماش في المقطورة، وخرجا بسرعة.

انطلقت ميرنا ويرنر بالعمل، تخلع عنها بسرعة ثوب الحورية، وساعدتها جانيس في لف الذيل البلاستيكي، وإزالة الزيّ نفسه... شعرت بالراحة لأنها تحررت من ذلك القيد غير المريح، لكنها لم تشعر بالراحة المطلقة لأن أمامها محنة أخرى.

أصلحت ميرنا ببراعة وكفاءة الماكياج على وجه جانيس.. ثم أمسكت الثوب الأخضر وألبستها إياه.. كان الثوب نسخة مماثلة من زي الحورية ما عدا الذيل. أعادت ميرنا العقد الصدف، وأصبحت جانيس مستعدة للمشهد الأخير.. ستعود حسب كل ما تتطلبه المظاهر الخارجية.. لكنها لن تكون مستعدة أبداً للتجاوب مع كايرد بيترسون.

رافقها مايكل ويذرس إلى الشاطىء.. ونظرت جانيس خلسة إلى الأشخاص المهمين. كانت ايڤا آشتون تتحدث إلى وودي وينترز، وكارا مارثاين تثرثر مع كايرد بيترسون الذي كان يضع على وجهه ابتسامة اعتزاز بالنفس. عبست جانيس بألم وتركت نظرها يتجه إلى براند آشتون الواقف بصمت بعيداً عن الآخرين يراقب تقدمها. ربت المخرج كتف

www.elromancia.com

كايرد، وانفصل عن المجموعة فأراحها بذلك من التحدث إلى أحد.

لاقاها ولفّ يده الكبيرة حول يدها وضغطها بطريقة تآمرية.

ـ جهد واحد بعد جانيس.. هذا كل ما نحتاج إليه.. سنكمل المشهد من حيث كنت تدفعين كايرد عنك.. ستجري الكاميرا على جسدك لتلتقط لحظة تلامس أطراف أصابع قدميك بالرمال، ثم تصعد مجدّداً. ويجب أن يظهر جسمك مرناً مطواعاً أمام تلك اللقطة الطويلة قبل أن تنطلقي.

قالت بصوت جاف:

ـ دون عناق!.

لاحظ وودي عاصفة التمرد في عينيها فوافقها على ما تريد.

ـ لا عناق... سندير الكاميرا ثلاثة أرباع الدورة لتبدوان متعانقين. ولن يؤثر هذا فيك.

تمتمت:

ـ سيساعدني هذا.

وصلا إلى محاذاة المياه وهناك استلقت جانيس لتمثل المشهد الأخير.

رتب وودي سيرها: «انتظري هنا! سأعطي تعليمات لكايرد.. سنجرّب العناق لمرة واحدة، ثم نصور.. حسناً».

هزت رأسها. مضت عدة دقائق قبل أن يعود ولم تنظر إليه لأنها لا تريد أن تنظر إلى كايرد بيترسون.. ولا إلى أي شخص آخر.

ـ حسناً.. فليكن العناق سريعاً ناعماً سهلاً.

أحست جانيس بعداء كايرد قبل أن تلتفت، ثم شعرت بيديه تمسكان خصرها بشدة فنفذت تعليمات المخرج بأفضل ما تستطيع، محاولة تجاهل الاشمئزاز الذي تشعر به.

ـ استرخي.. أيتها الساقطة البلهاء!.

جاءت كلماته هسيساً ملؤه الحقد وراحت أصابعه تحفر بقسوة في لحمها.

صاح به وودي وينثرز:

ـ أقفل فمك كايرد.. وأبقه مقفلاً! قم بدورك كما قلت لك بالضبط، وستقوم جانيس بدورها.. سأعد بشكل عكسي حتى تستعد جانيس.. وما إن أصيح، آكشن! حتى تباشري.

بعدما تركهما بمفردهما حدق كايرد بيترسون إلى جسم المخرج المنسحب، ثم إلى جانيس بازدراء...

قال بصوت فظ: أتعرفين ما تحتاجين إليه.. أنت بحاجة لمن يربطك في فراش حتى يذيب آخر ذرة ثلج فيك.. ويا إلهي كم أود لو أكون أنا الفاعل.

ـ خمسة.. أربعة.. ثلاثة...

وضعت يديها على كتفيه وبدأت تضغط مبتعدة عنه.. ولكن كايرد اغتنم الفرصة وشدها إليه وهو يرفعها.

ـ اثنان.. واحد.. آكشن!.

لا مجال لإقناع جانيس باعادة هذا المشهد.. وهي مدفوعة بهذه الفكرة وحدها، أكملت روتين التصوير بدقة.

ـ اقطع!.

صاحت جانيس بوجه كايرد وعيناها ترمقانه بشراسة:

ـ ارفع يديك عني فوراً!.

اندست يداه حول جسمها بإهانة بطيئة وأخذ يلاعب جسدها وهي تبتعد عنه فلم تستطع منع نفسها من مهاجمته بأسنانها وأظافرها.

اقترب وودي وينثرز مسرعاً وألقى الأوامر ليستعدا لتكرار المشهد ثم تقدم نحو جانيس، يقول بصوت ليس فيه أثر للرضا:

ـ حسناً.. ماذا تريدين غير هذا؟ لا فائدة من هذا! وتعرفين هذا

www.elromancia.com

جيداً! يجب أن تضعي مشاعرك في المشهد.. فما المشكلة الآن! لا جدوى من تصرفك كدمية ميكانيكية..

ردت بغضب:

ـ هذا كل ما ستحصل عليه.

ارتدت على عقبيها تنوي الهرب، فأمسك وودي بذراعها وأدارها إليه.

ـ هل أنت مجنونة؟ لا يمكنك رمي كل شيء أدراج الرياح! لقد أنهينا ثلاثة أرباع العمل.. مجرد جهد بسيط آخر وسوف...

صاحت: لن أكمل!.

كرر بعدم تصديق: لن تكملي؟

أمسك كتفيها وهزها وهو يصيح راعداً:

ـ بحق الله! بل ستكملين! وسنصور ذلك المشهد مراراً وتكراراً حتى أحصل على ما أريد. لقد وقعت عقداً يا فتاة!

ـ لن أحتمل أن يلمسني هذا الغليظ.. وابعد يديك عني!.

كانت تصيح وهي ترمي يديه عنها..

ـ ماذا بحق الله؟

ـ ما المشكلة؟.

قطع صوت براند آشتون الحاد المتسلط حديثهما، فرفع وودي يديه إلى الأعلى.

ـ إنها تتمرد وترفض التصرف بشكل منطقي.

صاحت جانيس:

ـ منطق! ليس هناك أي منطق في المناسبة.. إذا اقترب هذا الغوريلا القذر مني مرة أخرى، فسأتقيأ.

ـ بيترسون؟.

ارتدت نحو براند آشتون فكادت تنفجر غضباً.

ـ أجل.. كايرد الخنزير الجليل بيترسون! لقد اخترتم الحبيب الخيالي الرائع، المعتد بنفسه... ولكن ذلك الخيال على ما يبدو لا يكفيه آه.. لا! طريقته بالتمثيل هي التهجم الجنسي.. هذا طرازه.. وإذا ظننت أنني سأتركه يمسني مرة أخرى.

قاطعها كايرد:

ـ اسمعي الآن أيتها المتكبرة الباردة! إذا كنت..

ـ كفى بيترسون.

ـ لم أبدأ بعد.. إنها تدفعني عنها منذ البداية.. قل له هذا وبنثرز! هي لا تعرف قواعد المهنة لتنفذ عناقاً بسيطاً.

صاحت جانيس به:

ـ أنت بحاجة إلى عاهرة محترفة لتتحمل عناقك.

ـ أيتها...

ـ قلت كفى!.

لا مجال للجدال مع لهجة براند آشتون الفولاذية..

رفع صوته: ويذرس، تعال إلى هنا.

سارع مايكل إلى الأمام، تلحق به كارا مارثاين..

قال براند:

ـ تأكد من مغادرة السيد بيترسون الموقع فوراً... بيترسون.. لم نعد بحاجة إلى خدماتك، وسندفع لك الأجر المتفق عليه.

ـ مهلك لحظة...

ـ فوراً!.

سألت كارا مارثاين بحدة:

ـ لماذا يجب أن يترك العمل؟.

ـ هذا قراري كارا.. فلا تتدخلي.. أرجوك اذهب من هنا بيترسون فلا فائدة من الجدال.

www.elromancia.com

سخر كايرد بيترسون:

ـ حسناً... أنا راحل! لكنك ترتكب غلطة كبيرة، فهي المشكلة لا أنا!.

لم يتأثر براند آشتون، وأظهر وودي وينثرز سخطه عندما رأى كايرد يبتعد.

ـ إلى أين ستذهب من هنا؟ لقد رأيت ما صورناه حتى الآن.. كانت وكأنها مفسدة اللذات في المشاعر التي أظهرتها.. لقد دمرت ما كان يمكن أن يكون..

ـ لدينا رجل آخر..

احتجت أخته:

ـ رجل آخر! هل جننت براند؟ سنحتاج إلى وقت طويل حتى تحصل على رجل آخر وإلى وقت أطول لإعادة المشهد كله. يومان من التصوير.. هذا ما قلته. ومن يقول إن الآنسة يونغ لن تعترض على الرجل الآخر والآخر! لا يمكنك المضي بنزوتك هذه... هذا عناد وجنون.. أعتقد أنها حصلت على فرصتها.. أما أنت فاستنفدت ميزانيتك وانتهى الأمر.

ـ لدى كارا وجهة نظر صحيحة براند.

ارتدّ ليواجه أمّه.

ـ لقد رأيت الفيلم ليلة أمس.. وهو يستحق المضي فيه.

قال وودي وينثرز:

ـ لن أرغب في هدر هذا الفيلم سدى. ويمكنني تدبير وقت تصوير إضافي في برنامجي بعد أسبوعين.

ـ أسبوعين؟

صاحت كارا بسخط: «هذا محال.. وحتى أنت لن تستطيع المقامرة إلى هذا الحد براند».

ارتدّ بحدة إلى وودي وينثرز:

ـ أيمكنك التصوير بطريقة مختلفة؟ تقليل أهمية دور الرجل.. أعرف أنه يجب أن يكون هناك، لكن التركيز كله يجب أن يكون على جانيس.. ولا أظن أننا سنخسر كثيراً إذا زدنا التركيز عليها.. وقد يكون الرجل أياً كان بشرط أن يكون ضخم البنية.

جاء الرد المتلهف:

ـ أن يكون مسانداً أكثر منه ممثلاً! أجل.. يمكنني القيام بهذا لكن، يجب أن تختار بسرعة من يقوم بهذا إذا أردت الانتهاء هذه الليلة فسرعان ما تتوارى آخر فلول الشمس.

ارتدّ براند آشتون إلى جانيس:

ـ الأمر عائد إليك.. انظري حولك واختاري رجلاً.

صاحت أخته ساخرة:

ـ إذن نحن الآن بصدد تمثيلية للهواة. إذا كانت لا تستطيع التعاون مع ممثل محترف...

ـ اصمتي كارا! جانيس.. إنها فرصتك الوحيدة.

لم تكن جانيس قد استوعبت الجدال الدائر حولها.. فما إن أزيح كايرد بيترسون من أمامها حتى شعرت بجسدها كله متخدراً وكانت تشعر بالغثيان بحيث لم تهتم بما يجب أن تقرر.. لم تعد تهتم بالفيلم.. بالمستقبل.. أو بمهنتها. كان اليومان الأخيران كابوساً من المشاعر المتشابكة المتشنجة ولا تريد سوى التخلص، من هذه المشاعر.

هي لا تريد فرصة أخرى، ففرصة أخرى تعني أن عليها التفتيش في روحها عن المزيد من المشاعر التي استنفدت كلها... نظرت إلى براند آشتون مرهقة متعبة الروح، وفي عينيها ألم من الحمل الذي ألقاه على عاتقها.

قال باصرار يحثها:

www.elromancia.com

ـ هيا جانيس. . اختاري.

سعى عقلها إلى وسيلة نجاة. ووجد الوسيلة. . إنه خيار لن يقبل به براند آشتون!.

ـ سأقوم بالدور معك!

* * *

٩ ـ كان خيالاً فهوى

كسر الصمت ضحكة جادة انتهت بقهقهة ساخرة وبدا واضحاً أن ما سمعته كارا مارثاين سلاّها ولكن شقيقها لم يكن هكذا.

ـ بحق الله. . لا تكوني سخيفة. . ليس لدينا الوقت الكافي.

أكّد لها كلامه الباتر أن لا مجال للنجاة بغير هذه الوسيلة وأن هذا هو طريق الخلاص فكررت بعناد:

ـ سأمثل الدور معك أو لن أمثل أبداً.

عادت كارا إلى سخريتها:

ـ إنه انذار نهائي! نجمتك ليست لينة العريكة براند. . لكن، بما أن هذه مقامرتك الخاصة، فلماذا لا ترضيها؟.

تجاهل أخته:

ـ كوني منطقية جانيس. . . لا تنسي مستقبلك المهني. . هذا وقت الصعود أو الهبوط!.

لم يعد لكلماته القوة لتحريك قلب جانيس. . وظلّت صامتة. فمقاومتها أغضبته، وأشار بيده احباطاً وقال بصوت فظ:

ـ إذن هذه نهاية كل شيء إذا لم تغيري رأيك!

تنفست الصعداء. . . لقد حررها من قيدها، وتستطيع الآن أن ترحل.

www.elromancia.com

ـ براند..

قطع صوت ايڤا آشتون الموقف الحرج بكل سلطته المفروضة.

ـ لقد دفعنا مالاً كثيراً من أجل هذا الإعلان ونحن الآن عرضة لخسارة كل ما دفعناه أو القبول بالحل الوحيد الذي سيعود علينا بفائدة... إذا كانت الآنسة يونغ ترضى أن تقوم بالدور معك فليكن ذلك فبهذا لن تخسر الشركة.

شعرت جانيس بمزيد من الحذر وهي تدرك أن براند آشتون يقلّب النظر في نصيحة أمه.. لا يمكنه هذا بالتأكيد.

ـ وينثرز.. حضّر المشهد قبل أن أعود.. سأغير ملابسي.

أضاءت ابتسامة كبيرة وجه المخرج.

ـ حاضر سيدي.

وسرعان ما انطلق يصيح ملقياً أوامره.

أما كارا فتعالى صوتها بشيء من عدم التصديق:

ـ براند.. لن تحط من قدر نفسك بأن...

ولم تصدق جانيس ما يحصل. كانت واثقة أنه سيرفض.. عصر الخوف قلبها وغصّ حلقها بحشرجة كبيرة. كيف ستتمكن من إداء الدور معه؟ لقد رمت بقفاز التحدي وهي واثقة أنه لن يرضى بذلك أو يقبل. الآن، لم يعد هناك سبيل لتجنب الأمر المحتوم.. لولا أمه.. ونظرت إلى ايڤا آشتون بكراهية فلمحت وميض ماذا؟ ما هذا؟ مراقبة حادة؟ هل عرفت السيدة العجوز أن اقتراح جانيس خدعة؟ وأنها لم تكن تتوقع القبول به؟.

قالت ايڤا آشتون بصوتها الذي لا يمكن تجاهله:

ـ تعالي كارا.. سننسحب إلى الخط الجانبي، ونترك الآنسة يونغ تحضر نفسها للمشهد الحاسم... فقد حصلت الآن على الشريك الذي اختارته.

ارتفع الدم الحار إلى وجنتي جانيس فأحرقهما... في الواقع لم يعد هناك خيار... فقد جاءت إلى هذا الشاطىء.. وكان هو هنا.. مجرد غريب، ثم أصبح شخصاً مهماً وحبيباً إلى قلبها.. إنه الرجل الذي أخرجها من بؤسها ذاك وأشعرها بأنها كائن حي مستقل.. لقد فتح أبواباً رائعة.. قادها إلى أفق جديد من المشاعر.. أجل.. إذا كان من الممكن إدارة الزمن، فلن تتمنى أن يكون هناك سواه.. ولو كان لها الخيار مجدداً لما تركته.

لكنه أسقط ستار الحبيب، الشريك، الصديق المتفهم.. وتوقفت المشاركة عند هذا الشاطىء.. وها هي الآن ستمثل الدور الذي كان يوماً حقيقة. سيكون معها، ومع ذلك ليس معها.. إنه يمثل معها مضطراً ومجبراً على أمر لا يريده.

ـ جانيس! إلى هنا!.

عندما استدعاها وودي وينثرز أجبرت نفسها على الرد.. فقد كان المخرج يفور حماسة وثقة.

ـ سنحقق الأمر وحق الله! سنضع كل شيء في علبته الليلة، مهما كلف الأمر.. الإنسان ينتظر العمر كله من أجل شيء كهذا.. فلا تخذليني الآن جانيس.. لقد حققت مرادك وحظيت بالرجل الذي تريدين.. ظننت في لحظة مريعة أن الأمر انتهى.. والشكر لله على تدخل السيدة العجوز! إنها صاحبة عقل تجاري.. لم تصل إلى ما هي عليه بسهولة.. إنها نمرة حقيقية!.

بل هي لبوءة.. زوجة الأسد.. ملكة الغابة.. رددت جانيس الكلمات بينها وبين نفسها تصحح النعت الذي وصف به السيدة.. ولكم تمنت لو أنها لم تطأ بقدميها أرض السيدة العجوز المفضلة.

سحب وودي وينثرز نفساً عميقاً وبدأ العمل.

ـ الآن.. حين يصل آشتون إلى هنا نراجع الحركات بسرعة..

عليك أنت أن تنفذي ما تمرنا عليه بالضبط.. ستصورك الكاميرا وأنت تهرعين إليه.. ثم ستصور وجهك بالكامل وهو يرفعك في الهواء وعندئذٍ لن يبدو منه غير ظهره.. فهمت؟

هزت رأسها إيجاباً.

ـ هذا يعني أن التركيز الأساسي عليك جانيس. فهذا إذن هو الوقت المناسب لإظهار براعتك.. إن أجدت التمثيل تصبحين نجمة متألقة يريد الجميع رؤيتها.

نظر من فوق كتفها:

ـ آه.. ها قد جاء آشتون الآن. سأذهب إليه وأعطيه التعليمات اللازمة.

عندما سارع نحوه ... انجذبت نظرتها دون مقاومة نحو الرجل القادم.. كان براند آشتون يرتدي الثياب ذاتها التي كان يرتديها ذلك اليوم منذ أسابيع.. التيشيرت أظهرت عرض منكبيه والبنطلون الجينز مرفوع إلى ركبة الساق القوية العضلات.

سرت قشعريرة الذكريات في بشرتها تضخ نبضاً خائفاً في شرايينها. حاولت يائسة التمسك بوقارها والسيطرة على نفسها ولكن ذلك كان سراباً تخلت عنه منذ اتخذ براند آشتون الوضع الذي أشار إليه وودي وينثرز. كان على مقربة شديدة منها بحيث لم يعد يفصل بينهما غير سنتيمترات بسيطة وما هي إلا لحظات حتى تزول هذه المسافة أيضاً.

تفوه وودي وينثرز بالكلمات المخيفة:

ـ بداية، سترفع جانيس بحيث لا تلمس قدماها الرمل.. وما إن تلف ذراعيها حول عنقك، حتى تتركها تنزلق نزولاً.. وما إن تصل قدماها حتى تتركها وسيكون عليها الاندفاع إلى الأمام لترقص.. حسناً. فلنجرب.

لم تستطع النظر إليه. كان قلبها يضرب كطبل غابات مجنون..

رفعها، وثبتها إلى قلبه.. ذلك القلب الذي دق مرة في تناغم فرح مع قلبها. ضغطت يديها على كتفيه وتركت عينيها مغمضتين ولكن جسمها كله كان ينتفض ذعراً.

صدمتها اللمسة الأولى وكأن كهرباء مستها. رفعت رأسها إلى الوراء، تفتح عينيها على وسعيهما بذعر.. فشدّ بشكل غريزي على أصابعها.... في محاولة عظيمة لتهدئة التشوش الذي كان يثيره فيها.

سخرت العينان السوداوان من الخوف الماثل في عينيها.

ـ أليس من الممكن أن نتعانق؟

قال وودي:

ـ آه.. حسناً.

رد عليه بحدة:

ـ لا داعي لتغيير السيناريو.

تبعت الحركة كلماته قبل أن تتاح لها فرصة الاحتجاج.. كانت إحدى ذراعيه تسندها بينما الأخرى تتسلل إلى فوق لتمسك رأسها بثبات.. وفي هذا الوقت أخذت أصابعه الدافئة تداعبها وتعذبها، حتى ارتفعت يداها طوعاً لتلتفا حول عنقه.. ولم تدرك أنه كان يتركها تنزلق إلى الأسفل.. فعناقه أثار مشاعرها بشكل كبير حتى شعرت بأنها تكاد تختنقها.. وسبح عقلها بدفء مثير للدوار... ولم تنتبه أن قدميها لمستا الرمل الرطب حتى التفت المياه حولها.. ثم انتزعت نفسها من عناقه.. جعلتها غريزة الحفاظ على النفس تتبع تعليمات السيناريو.. ووفر هذا لها فرصة ضرورية ليتوقف الجنون العاصف بجسمها.

صاح وودي راضياً:

ـ جيد.. جيد.! ابقي هكذا لحظة جانيس.

كانت قد وصلت إلى النقطة التي تنهي فيها رقصتها لتعود إليه راكضة.. ونظرت بحدة إلى براند آشتون. بدا هارباً، غير متأثر، وكأن

لا شيء حدث.. لا شيء حدث! مجرد عناق، عناق قصير لا معنى له، بالنسبة له.

آه!.. يا الله! هل فضحت نفسها وهل أدرك إلى أي درجة هز كيانها؟ فهي حتى الآن ما تزال ترتجف.

ـ الآن سيد آشتون.. فيما ترقص جانيس، تحرك نحوها خطوتين. واستدر لئلا يظهر وجهك جيداً وهي تعود.

وتبع تعليمات وودي.

ـ حسناً، لقد رأيت كيف رفعها بيترسون عالياً. فاحذو حذوه، ثم دُر معها بهذا الوضع لتنعكس صورتها إزاء السماء والبحر.. هكذا.. قبل أن تنزلق إلى الأسفل مرة أخرى، والكاميرا ستلحق بها.. مفهوم؟.

ـ أعتقد هذا.

ـ حسناً جانيس! ابدئي الرقص!.

سحبت نفساً عميقاً، وأمرت قدميها بالقيام بالخطوات التي تدربت عليها. إن استطاعت النجاح منذ المرة الأولى فلن تكون بحاجة إلى المزيد من المراجعة.. وكلما أسرعت في إنهاء هذا المشهد، كلما استطاعت النجاة بشكل أسرع من العذاب الجسدي والعاطفي الذي يثيره فيها براند آشتون.

أمسكها بأمان ورفعها، يديرها بالضبط كما قال وودي وينترز. كانت قدماها تتدليان على خاصرتيه.. ثم أخذت تنزلق نزولاً وهو يراقبها، ليس بعيني براند آشتون القاسيتين.. بل بتلك العينين اللاهثتين بالذكريات الحميمة.

صاح وودي بانفعال:

ـ ممتاز! لن نحتاج لإضاعة المزيد من الوقت.. عودا إلى نقطة البداية، وفي هذا الوقت سأنظف الرمل استعداداً للتصوير.

صفق بيديه بسرعة بالتعليمات.. كانت جانيس مصدومة، لم تفهم

ماذا يجري في رأس براند آشتون.. وفيما كانت غارقة في أفكارها المشوّشة، دارت عيناها حولها لتقعا على الرجل الواقف إلى جانبها. زادها ارتجافاً أن ترى المخيم كله مجتمعاً مراقباً إياهما لأن مشاركة براند آشتون في التصوير أثارت فضول الجميع على ما يبدو.

طالب وودي وينترز الجميع بالتراجع. فتراجعوا مبتعدين إلى حدود الكاميرات لكن اهتمامهم الذي انصب عليهما بوضوح أربك جانيس.

ـ لا تهتمي بأحد!

رفعت رأسها.. هذا ليس براند آشتون الذي اعتادت على رؤيته، هذا هو الرجل الذي أحبها... يده أمسكت خدها. كانت لمسة رقيقة أيقظت ذكريات حادة.

ـ تظاهري أننا وحدنا.. تذكري الإحساس الذي شعرته عندما كنت معي في ذلك اليوم! أعيديه إلي جانيس! أشعريني به ولو مرة واحدة.

انخفض صوته حتى أصبح همساً وتمتمة جاءت في صوت أجش.. كان في عينيه شوق عميق، شوق بحاجة إلى الكثير الكثير لإشباعه.

قالت بصوت مختنق:

ـ لماذا؟ من أجل الفيلم؟.

قال كلمات غامضة:

ـ بإمكان الرجل أن يحلم.. وأنت كنت حلماً جميلاً جانيس.. قد يكون هذا جنوناً... ولكنني أريد أن أعيش ذلك الحلم مجدداً... أريده ولو دام بضع لحظات فقط.. أشعريني بما تشاركناه يوماً.

قفز قلبها أملاً:

ـ إذن.. اذن.. لقد عنى لك هذا شيئاً... ولم يكن مجرد..

ـ آكشن!.

اختنقت الكلمات التي حاولت قولها أمام نيران مشاعره.. نيران تفجرت بدورها في شرايين جانيس. وبطريقة ما ذكرت نفسها بأن عليها

أن تضغط يديها على كتفيه.. ثم شعرت به يرفعها فسارعت يداها إلى الالتفاف حول عنقه وأخذت أصابعها تندس في شعره الكثيف.. تتوسل بلهفة حتى ترى الحب الذي رأته في عينيه يوماً..

كانت عيناها تناديان عينيه وقلبه ينادي قلبها بشوق. وتفجر الفرح حباً وازدهر وامتد إلى كل المساحات الفارغة.

تمتم بصوت أجش:

ـ جانيس!.

سحبت نفساً ملؤه الاستسلام:

ـ نعم.

ـ جانيس.. يجب أن تبتعدي الآن.. اذهبي وعودي إلي.

وتذكرت ما يجب أن تفعل. لن يستغرق هذا سوى لحظات، وتراقصت مبتعدة، تطير من السعادة وتشعر بأنها حرة من الظلمات، حرة أن تُحب وتحب.. رقصت بفرح صرف لأنها شعرت بأنها عادت حية.. حية بشكل براق وجميل.

كانت ذراعاه ممدودتين إليها، تريدان عودتها.. فهرعت إليه بسرعة... ما إن وصلت إليه حتى رفعها عالياً يدور بها، فقوست جسدها نحو السماء بسرور عارم. وذابت وهي تتوقع أن ينزلها ليضمها بين ذراعيه بطريقة تنبىء بأنها ملكه.

.. أحست أنه أخترق روحها ليأخذها، وأعطته إياها دون تردد.

ثم، وبشكل لا يصدق، أخذ ينسحب. ارتفع رأسه، وأبعدتها أصابعه القاسية عنها، لكنها تمسكت به فقد أربكها ابتعاده المفاجىء عنها.. أخيراً أمسك يديها وأنزلهما إلى جنبيها.. لحظتئذٍ فقط بلغ صوت التصفيق البعيد أذنيها وأعادها إلى الواقع.

نظرت حولها فأجفلها عدد المشاهدين وكانت الوجوه كلها مبتسمة وكأنها تسخر منها. لقد رأوا كل شيء، وأصبح الجميع يعرف ما تشعر

به نحو براند آشتون.

اقتربت منه أكثر تسعى إلى حماه ودفئه وتقدم وودي وينثرز إليهما وهو يلوّح بذراعيه اهتياجاً.

ـ شكراً لك سيد آشتون.

ثم رفع يديه إلى السماء.

ـ نحمد الله على الحظ الذي ابتسم لنا هذه الليلة.. لقد حفظت الفيلم في آمن مكان وأعد أن أشرف عليه أنا وحدي بكل مهابة وتقدير.. جانيس.. كنت مذهلة.. مذهلة! ومن دواعي سروري أن أصورك يا فتاتي العزيزة.

ثم ربت كرشه معتداً بنفسه.

ـ آه... يا له من إعلان! ليس للعطر فقط سيد آشتون، بل لجانيس ولي، ولفن صناعة الأفلام. إنه إنجاز رائع وحق الله! جوهرة براقة بين الإعلانات القديمة.. عندما سيعرض الإعلان لن يستطيع أي مشاهد شرب فنجان شاي لأن أنظار الناس ستستمر عليه وستعمد العيون إلى التملي من جماله.. إنتاج ضخم! ضخم! ويستحق كل متاعبك سيد آشتون، إنه كرم كبير منك أن تقف لنا أمام الكاميرا.. أجل سيدي.. وأحسنت كذلك.

ـ شكراً لك وينثرز.. لكن الآنسة يونغ هي النجمة.

قبل أن تنظر إليه متسائلة، تلقت صفعة قوية على ظهرها، وأدارها المخرج ليتفوه بابتهاجه.

ـ ويا لها من نجمة! يا له من إحساس! يا له من تعبير! عزيزتي.. كنت بارعة بل متفوقة. أشكرك من أعماق روحي الفنية.. أعد أن أعطيك حقك.

أنهى كلامه بانحناءة احترام.

تمتمت جانيس:

www.elromancia.com

ـ أنت بغاية اللطف.

أحرجها بكلامه ولكنها لا تستحق كل هذا.. فهي لم تمثل، فما يتطلبه الفيلم هو أبعد شيء عن تفكيرها ولولا براند وحثه إياها لما توهجت عيناها بذلك الحب الدافيء ولما أشرقت...

لم تجده.. لقد رحل.. زحفت برودة مفاجئة إلى قلبها. ثم لمحته قرب أقرب فريق تصوير.. كان يتحدث إلى مايكل ويذرس. مرة أخرى وعت عدد المشاهدين الكبير، هذا ليس المكان المناسب لحديث خاص.. لكنها تمنت لو انتظرها... ربما سيعيدها بنفسه إلى منزلها.. لقد انتهى عملها هنا، ويمكنهما الذهاب معاً. هناك الكثير ليقال.

تقدمت ميرنا نحوها، تبتسم:

ـ أحسنت جانيس.. أنا مسرورة كثيراً بنجاح العمل.. لم أكن أرغب أن أرى كل هذه الأزياء تذهب سدى.

قال وودي:

ـ إنها أزياء رائعة!.

تقدم براند آشتون إلى أمه وقال لها بضع كلمات، ثم هز رأسه وهي ترد عليه. ثم تقدم نحو الكوخ دون أن يلقي ولو نظرة واحدة إلى الوراء.

ـ جانيس؟.

كان صوت ميرنا متسائلاً بفضول.

ـ عفواً؟.

ـ كنت أقترح عليك المجيء إلى المقطورة لتغيري ملابسك.

ـ آه!.

حاولت جانيس لملمة شجاعتها.. لا شك أن براند آشتون سيعود ليرتدي بذلة العمل.. ويجب عليها أن تتخلص من هذا الزي أيضاً.

قالت: «تعالي إذن».

لو لم ترافقها ميرنا لركضت جانيس حتى تصل إلى الكوخ.. لكن

الفتاة الأخرى احتجت على سرعتها.. وكانت يدها تمتد إلى السحاب الخلفي حين أغلقت ميرنا الباب.

ـ مهلك لحظة! سأفعل هذا.

خلعت جانيس ثوبها وارتدت بسرعة روب الشاطيء، وكانت عند الباب قبل أن تمنعها ميرنا.

ـ ألا تريدين أن تزيلي مساحيق التبرج؟. قد لا تستطيعين ذلك وحدك.

أجبرت نفسها على الجلوس.

ـ أجل.. أجل.. بالتأكيد.. آسفة.. أرجوك أن تسرعي ميرنا.

ـ لم العجلة؟ لن نرحل قبل ساعتين أو أكثر.

ـ أريد فقط.. أن أعود إلى طبيعتي.

تنهدت ميرنا التي شرعت تطلي وجه جانيس بالمساحيق اللازمة.

ـ لا أدري.. أنت غريبة الأطوار جانيس.. هل أنت دائماً متوترة هكذا؟ لم أشاهدك مرة مسترخية إلا وأنت نائمة ثم ما إن تستيقظين حتى يعود التوتر إليك بسرعة غريبة.. يجب أن تمارسي اليوغا.. إنها رياضة نافعة للجسم وللفكر.

تلقت النصيحة آذاناً صمّاء لأن تفكير جانيس كان يتسارع محاولاً التغلب على الشكوك التي تصاعدت فجأة من لهفتها، لا يمكنه أبداً إشعال الحب ثم إطفائه بكبسة زر، وكأن شيئاً لم يكن.. مع ذلك فقد نحّاها جانباً في النهاية، وتحرك مبتعداً. كيف يمكنه تركها هكذا؟ كان الإحساس بينهما مشتركاً كأن بينهما تواصل عميق ملح.. ولا بد أنه ينتظرها الآن. يجب أن يكون منتظراً.

مع ذلك لم ينس أنه يمثل فمع أن عناقه محا كل شيء في رأسها فهو لم ينس أين هو وماذا يفترض أن يفعلا. وحين توقفت آلات التصوير عن الدوران... لا.. لا! صرخ عقلها بها رافضاً التفكير في

www.elromancia.com

هذا الاتجاه... التفكير.. هذا غير ممكن! لا تظنه أثار مشاعرها فقط من أجل الفيلم... لقد أرادها.. أرادها حقاً، كما أرادها ذلك اليوم على الشاطىء منذ زمن بعيد. لذا لا يمكنه أن يدير ظهره هكذا.

ذكرت نفسها بألم.. لقد فعلت هي هذا... طلب منها البقاء فرفضت وفضلت الرحيل. رحلت مخلّفة وراء ظهرها حلماً جميلاً.. هذا ما قاله.. لم يصدق أنه سيدوم.. يدوم لها أم له؟ يجب أن تكلمه.. يجب أن تعرف.

ـ يكفي.

قفزت عن الكرسي تكاد توقعها.

ـ ما زال هناك بعض اللمعان...

لكن جانيس لم تسمع شيئاً لأنها كانت تنزل درج المقطورة بسرعة، ونبضات قلبها تخفق بقوة وذعر.. كان باب كوخ الخشب ينفتح ومنه خرج براند آشتون الذي ما إن نظر إليها حتى كتمت أنفاسها.. تلاقت عيناه بعينيها، ولكنها لم تر فيهما أي اعتراف بوجودها أو أي شيء شخصي.. بل مجرد سواد.. مثل الرماد الذي استهلكت ناره ثم خبا.

بدا بارداً متسلطاً لا يمكن فهمه... ولم تكن المسافة بينهما مسافة ملموسة فقط. لقد أبعد نفسه عنها نفسياً، وعاطفياً. وإذا كان هناك مكان ما في داخله فيه نقطة ضعف تنبض، فهي غير ظاهرة أبداً.. إنه براندون آشتون رأس الشركة.

لم تستطع جانيس دفع نفسها للكلام، ليس لديها القوة للقفز فوق الجدار بينهما... إنه جدار مرتفع مخيف، وهي غير واثقة ما إذا كان فيه نقطة ضعف.

هز لها رأسه باقتضاب، ثم سار رأساً إلى سيارته المتوقفة قرب اللاندروڤر.. راقبته حتى اختفى هو وسيارته خلف دغل كثيف.

حلم جميل.. خيال.. محبوس في فيلم.. لكن مضمونه مرمي بعيداً.. الرجل الذي كان على الشاطىء.. ضاع منها إلى الأبد.

* * *

www.elromancia.com

١٠ ـ ذهب ليصطاد

«عزيزتي الآنسة يونغ

إيفـا آشتـون تـرغـب فـي أن تحضـري العـرض الخـاص بإعلان «الخيال». سيقام العرض في قاعة المؤتمرات في مبنى آشتون في الخامسة من بعد الظهر يوم الجمعة في التاسع والعشرين من آذار.

يحق لك أن تأتي معك بضيف إذا شئت.

المخلص مايكل ويذرس»

ـ حسناً؟.

خدشت الرقة واللهفة في صوت أمها أذني جانيس.. وضعت اڤلين يونغ الرسالة بين يدي ابنتها، تطلب أن تقرأها فوراً فلا شك أن الشعار الموجود على المغلف أثار تساؤلات الأم.. فيما كانت جانيس في الخارج تتسوق.

ردت جانيس: «لا شيء محدد».

ـ لا بد أن هناك أمراً ما فلن يرسلوا إليك رسالة من أجل لا شيء.

كانت أصابع اڤلين يونغ تتحرك بعصبية وتنهدت جانيس وناولتها الرسالة.. لن يهدأ لها بال حتى تقرأ أمها الرسالة، وربما بعد ذلك أيضاً.

منذ عادت من الشاطىء، عاشت جانيس مخدرة العواطف غير قادرة

على الحماس لشيء أو لعمل فالمستقبل أمامها بات كئيباً، رمادياً، غير متبلور ولا تريد التفكير فيه. أما أمها فكانت محبطة وظلت تستنطقها عن الفيلم حتى يئست لأن جانيس كانت ترفض الكلام بالمسألة.

أشرقت عينا اڤلين يونغ إثارة:

ـ هذا رائع جانيس! لن يزعجوا أنفسهم بعرض الفيلم لولا اهتمامهم به... ولن يدعوك لولا رغبتهم في إبرام عقد معك. اقرئي ما بين السطور تفهمي....

ـ ليس هناك التزام أمي.. فلا تنجرفي بعيداً! إنها مجرد دعوة.

ـ لكن الدعوة تتحدث عن نفسها.. لا أدري كيف تظهرين هذا البرود أمام دعوة كهذه. فكري في ما تعنيه لك.. آه... لا أستطيع انتظار يوم الجمعة لأشاهد عملك وأقابل أيضاً آشتون... سيكون هذا...

ـ لا أريد منك أن تذهبي أمي.

علا وجه اڤلين يونغ الألم ثم الصدمة.

ـ جانيس أنت لا تعنين هذا بالتأكيد.. الرسالة تقول إن بإمكانك اصطحاب ضيف معك.

تنهدت جانيس: «أمي... لا أظنني سأوقع العقد حتى ولو عرض علي.. لن أستطيع القيام بعمل كهذا مرة أخرى».

فجأة تساقطت الدموع على خديها.. فمسحتها بسرعة، لكن الدموع تابعت تدفقها...

ـ جانيس...

سارعت الأم تواسيها فضمت ابنتها إلى صدرها وراحت تربت على ظهرها وتملس شعرها، وتتمتم كلمات مهدئة، بينما كانت جانيس تنتحب نحيباً متواصلاً.

أبعدت جانيس نفسها أخيراً خجلة من انهيارها وراحت تعتذر

www.liromancia.com

بكلمات غير مفهومة فأدخلتها اقلين يونغ إلى غرفة الجلوس، وأجلستها على الأريكة، وأمسكت يديها تدعكهما بعطف رقيق.

ـ جانيس.. لقد أبعدتني عنك منذ انفصالك عن ستيفنز.

هزت جانيس رأسها.

ـ لم ترغبي في الاستماع إلي.

ـ أنا آسفة.. ظننت أنني أعرف ما هو أفضل لك.. لكنني لم أعد أعرف ماذا يجري.. لقد أصررت على المضيّ وحدك، وربما كنت أنا... مسيطرة جداً عليك في الماضي.. لكن لم يكن لديك توجه خاص.. كنت بحاجة إلى رعاية.. وكنت تعتمدين عليّ لاتخاذ القرارات.

سحبت نفساً عميقاً، وتابعت:

ـ الآن تريدين اتخاذ قراراتك بنفسك ويجب أن أقبل بهذا. لكن أرجوك ألا يمكننا التكلم عن هذه القرارات؟ الدنيا مكان موحش وأريد أن أساعدك... قد تظنين أنني لم أكن أماً صالحة، لكنني أحبك.. وأهتم بك كثيراً، وبما يحدث لك.. أرجوك لا تبعديني عنك!

ـ آه! أمي.. لا أعرف ما أريد. أحسست بالوحدة الرهيبة في الأسابيع الأخيرة.

ـ لماذا لا تريدين مني أن أذهب يوم الجمعة جانيس؟.

ـ لأنك... سترين..

كيف تشرح لها أنها ستشعر بالحرج بسبب المشاعر التي أظهرتها.. وتنهدت..

ـ بإمكانك المجيء معي، لكن أرجوك لا تدفعيني إلى أي شيء.. ولست واثقة إن كنت أريد في المستقبل أية علاقة مع آشتون.. إنهم متطلبون كثيراً.

ـ ماذا تقصدين؟.

ـ كل ما يهتمون به هو تسويق منتجاتهم.

ـ لكنه عملهم.

اكتأبت العينان الخضراوان أكثر.

ـ أعرف، لكنني لا أرغب أن أكون بيدقاً ضعيفاً في لعبة شطرنج السلطة بحيث يتلاعبون بي ويتقاتلون علي قبل أن يرموني جانباً.

ـ لكنه سلاح ذو حدين عزيزتي.. أنت استغليتهم أيضاً للحصول على ما تريدين ويجب ألا تأخذي الأمور على محمل شخصي، هكذا.

لكنها كذلك أمور خاصة وشخصية.. وجانيس لا تستطيع أن تشرح هذا، فالكلام سيؤلمها كثيراً.

ـ ربما أنت على حق أمي.. لكنني لا أستطيع الاحتمال.

ـ أتتركينني أساعدك؟ أستطيع الوقوف بينك وبينهم.. ما تحتاجين إليه هو مدير أعمال يحميك.

ـ أمي.. لا تدفعيني، أرجوك! دعي الأمر كما هو الآن، انتظري حتى يوم الجمعة، وسأرى كيف أشعر بعد عرض الفيلم.

للمرة الأولى لم تحاول اقلين يونغ ملاحقة وجهة نظرها.. وخرجت عن عادتها فراحت تدلك جانيس، وأخذت تطهو لها الوجبات اللذيذة لتفتح شهيتها، واشترت لها البطاقات للحفلات الموسيقية.. وفتحت معها أحاديث تنعش القلب وعاملتها بتساهل ولكم امتنت جانيس لمجهوداتها.. هناك فجوة كبيرة في تفاهمهما لكن هذا أمر لا يسهل ردمه. فنظرتهما إلى الحياة مختلفة، لكن على الأقل بينهما تواصل وتعاطف أراح وحدة جانيس.

حل يوم الجمعة وفي هذا اليوم أصبحت جانيس أكثر صمتاً وتوتراً. حاولت أمها أن تدفعها إلى ارتداء شيء لم يرها فيه جماعة آشتون، لكنها اختارت الفستان الوردي والأخضر الذي ارتدته يوم المقابلة مع ايفا آشتون. ووضعت ماكياجاً مناسباً تخفي شحوبها والظلال الخفيفة

www.elromancia.com

تحت عينيها. تركت شعرها على طبيعته فهذا أسهل من الذهاب إلى المزيّن لتسريحة رسمية. وبعد ذلك وضعت عطر الخيال الذي أعطتها إياه ايڤا آشتون.. كانت الرائحة مميزة بشكل غريب، تدفع المرء إلى تنشقها مرات ومرات.

ارتدت اڤلين يونغ كعادتها بذوق خال من الشوائب. بدت أنيقة بشعرها الأشقر المرفوع وتبرجها الماكر الدقيق.. وابتسمت بسعادة حقيقية حين قالت لها جانيس هذا.

وصلتا إلى مبنى آشتون قبل خمس دقائق من الموعد، وهناك قابلهما مايكل ويذرس الذي رافقهما إلى قاعة المؤتمرات وهو يرد على أسئلة السيدة يونغ. أدخلهما إلى قاعة بدت مليئة بالناس.. وسرعان ما تعرفت جانيس إلى بعض الوجوه. فجأة تفرق الجمع وتقدمت إيڤا آشتون نحوهما بكل جلالة الملكة.

ـ عزيزتي الآنسة يونغ.. من دواعي سعادتي أن تكوني معنا مجدداً.. وهذه...

ـ أمي.. السيدة اڤلين يونغ.

ـ حقاً! أهلاً بك وسهلاً سيدة يونغ.. في هذا المكان جميع الناس الذين اشتركوا في إنتاج عطرنا الجديد من المختبر إلى الاعلانات.. لن أضيع الوقت في التقديم الرسمي.. فأنا واثقة أنكما ملهوفتان كالجميع لرؤية الفيلم.. تعاليا، اجلسا معي.

كان استقبالاً مهذباً وضخماً، ابتسمت جانيس لنظرة الامتنان على وجه أمها. كان في الغرفة همهمة إثارة وهن يتقدمن إلى الأمام ومن كان واقفاً جلس بسرعة. رأت جانيس براند آشتون يقود سيدة حاملاً إلى مقعد بذراعين وعندئذٍ قفز قلبها بسقم وسارعت لتشيح بوجهها عنهما.

ابتسمت كارا مارثاين ابتسامة رفيعة. كانت تتحدث إلى وودي وينثرز المبتسم بلطف.. ولوحت لها ميرنا ويرنر.. وجوه أخرى بدت

تنظر إليها بفضول، وكانت مسرورة لجلوسها في الصف الأمامي قرب ايڤا آشتون، وركزت نظرها على الشاشة الكبيرة.. وتمنت لو كانت أصغر حجماً، وتمنت أكثر لو أنها لم تأت.

انطفأت الأنوار.. وكانت الظلمة مريحة. ماتت التمتمات المتبقية، ولمعت الشاشة بلون أزرق، وظهرت عليها كلمات سوداء وذهبية.

آشتون تقدم الخيال

سرعان ما ارتفع هدير البحر، وبدأ مزمار يعزف لحناً حزيناً.. وظهر البحر متقلب الألوان يلمع حتى أصبح أفقاً من الألوان المبهرجة. لاحظت الكاميرا الألوان المتلاشية حول السماء حتى ظهرت جانيس فجأة على شاطىء تحمل حقيبة الأصداف.

أول ما أحست أنها بحاجة إليه، هو أن تغمض عينيها.. لكن كان هناك سحر فظيع في مراقبة العواطف البادية على الوجه الظاهر على الشاشة، وبدا أن الاحساس العاطفي هذا يزداد حدة مع صوت المزمار المرتعش، المتدفق. واستخدم الضباب لإخفاء عملية التحويل من حورية إلى فتاة وتتم تنفيذ ذلك ببراعة وذكاء، ولاحظت تبدل الألوان نفخة طويلة من المزمار.. كان الإخراج رائعاً بحيث استحال القول أين أخذ براند آشتون مكان كايرد بيترسون.

انكمشت جانيس عندما ركزت الكاميرا على وجهها في المشهد الأخير.. وهناك على وجهها كان كل شيء... الفرح، الإثارة ونشوة الحب المتبادل والترقب. وإذا لم يكن كل هذا واضحاً، فالموسيقى تكفلت برواية الحكاية. إذ كانت تصدح وتصدح حتى انتهى الفيلم بلقطة لصدفة العطر حول عنقها وهي تنزلق في آخر عناق.. ولو شمل الفيلم تلك اللحظات الأخيرة من النشوة لماتت خجلاً وحرجاً.. اسودت الشاشة وأضيئت الأنوار وساد صمت رهيب، كسره وودي وينثرز بفرح

عارم:

ـ ألست عبقرياً؟.

ضحك أحدهم، ثم انفجرت القاعة بالتصفيق الذي كان يصم الآذان.. تقدم وودي وينثرز إلى جانيس.. وجذبها لتقف.. ورفع يده يطلب الصمت..

قال يربت على كرشه:

ـ أنتم على حق! أنا بكل تأكيد عبقري لكنني أقدم لكم نجمة قادرة على منافسة انغريد بيرغمان الصغيرة.. إذا استطاعت أن تشفي نفسها من أن تكون كابوساً للمخرج.

ارتفع الضحك، وازداد التصفيق.. واحمرت جانيس بشدة، فلن يتركها المخرج الذي حصل على مركز الاهتمام، ولن يتخلى عن المركز بسهولة.

ـ إن لم يسوّق هذا الفيلم عطر الخيال.. فلا شيء قد يسوقه.. وأشكر الجميع للمساهمة في عملي الفني.

طاف الانتصار والفرح فوق هدير الأصوات الذي تلا. واغتنمت جانيس الفرصة لتعود إلى مقعدها وفي هذا الوقت ارتفع صوت مايكل ويذرس يدعو الجميع إلى الهدوء.

ـ اعتقد أن السيدة آشتون ترغب في قول بضع كلمات.

وقفت السيدة العجوز فران الصمت.

ـ أهنيء كل من عمل في هذا المشروع... اسم آشتون سيزداد ثراء بهذا العطر الجديد الذي هو أفضل ما أنتجناه أبداً، كما أعتقد. ولهذا أردنا أن نتخذ مساراً مميزاً جديداً في الاعلان، وأنا أهنيء ابني على فكرته المبدعة، وعلى بعد نظره لأنه اختار الآنسة يونغ للعب الدور الرئيسي.

نظرت جانيس إلى براند آشتون الذي لم يتحرك من جانب المرأة

الحامل.. كانت عيناه جامدتين ووجهه كتمثال قدّ من حجر، ولم تكن على وجهه تعابير ظاهرة.. لا شيء تغير، ولم تتوقع أن يتغير.. لكن الألم في قلبها ازداد عمقاً وارتسمت على وجهه ابتسامة جافة:

ـ أهنيء السيد وينثرز على عبقريته.. فالإخراج والتصوير كانا رائعين حقاً.. وأهنيء السيدة لينغ، المعروفة للعامة أكثر ككاتبة أغنيات، سالي روجرز التي قبلت مشكورة تأليف الموسيقى التصويرية التي عبرت بكل جمال عن الجوّ الذي ساد الفيلم.

سرت همهمة اهتمام، واشرأبت الأعناق لرؤية المرأة التي ارتبط اسمها بأغنيات عديدة مثيرة للذكريات.. وفهمت جانيس أخيراً سبب الاهتمام الكبير الذي يبديه براند آشتون للسيدة الحامل.. سالي روجرز ضيفة مميزة.. لذا ذوت عارضة الأزياء البسيطة أمام اسمها اللامع.. تنهدت.. وتمنت مرة أخرى لو أنها لم تأت.

نظرت إيفا آشتون مباشرة إلى جانيس، وتابعت:

ـ كما تعرفون جميعاً.. سياسة الشركة منذ سنوات عدة تعتمد على استخدام نجمات متألقات للإعلان عن منتجاتها، وفي هذه المرة قامرنا مع الآنسة يونغ. كان بعضنا يشكّ في قدرتها على التمثيل والتفاعل مع المشاهد التي صُوّرت وأعترف أن ما من واحد منا توقع منها هذا الجمال وهذه الشفافية المؤثرة في الأداء الذي ستبقى ذكراه لسنوات عديدة قادمة.. إننا محظوظون بشكل لا يصدق لأنها ستكون ولو لبعض الوقت على الأقل موضوع الساعة في أنها «فتاة خيال آشتون».

كانت جانيس مذهولة جداً حين أمسكت العجوز بيدها وجذبتها لتقف.. ران صمت متوتر متحفز.. كان الجميع ينظر إليها وفجأة أدركت أنهم يرونها، ليس كامرأة وقفت أمامهم، بل يرون الفتاة التي ظهرت على الشاشة.

شيء ما هو أشبه بتنهيدة مختنقة جماعية مرت في القاعة...

وغرقت جانيس في عذاب الارتباك. هذا أسوأ بكثير من التصفيق.. وعن غير وعي منها سعت عيناها إلى براند آشتون الذي كان هو أيضاً، ينظر إليها.

كل هذا كان لك.. لك وحدك... ألا تعرف هذا؟ كانت صيحة صامتة من الأعماق.. ولكنه أغمض عينيه وأحنى رأسه وكأنه لا يريد استلام الرسالة.

أنهت ايڤا آشتون كلمتها:

ـ أدعوكم الآن جميعاً للاحتفال بإنجاز عملكم.

وكان هذا إشارة للمزيد من التصفيق الذي تبع الضجة العارمة بسبب وقوف الجميع.. وكانت جانيس ممتنة لكل من وقف... فهذا جعلها أقبل بروزاً، ولكن الضغط الخفيف على يدها أشار إلى أن ايڤا آشتون لم تنته منها بعد. فالتفتت إلى السيدة الكبيرة وهي تشعر بالقلق من أي حديث شخصي.

ـ حضرنا لك عقداً آنسة يونغ... وهو ينتظر أن تدرسيه ثم توقعيه. سيحدد مايكل ويذرس موعداً معك قبل مغادرتك هذا المساء وأرجو أن يرضيك.

قالت جانيس بهدوء:

ـ سأدرسه سيدة آشتون.

اخترقت العينان السوداوان دروع جانيس بحدة، لكن دفاعاتها كانت في مكانها الصحيح فجانيس لن تلزم نفسها بأي شيء الآن.

أدارت ايڤا آشتون نظرها إلى اڤلين يونغ التي وقفت وكأنها مصابة بدوار.

ـ لا بد أنك فخورة بابنتك، سيدة يونغ.

هزت اڤلين يونغ رأسها بعدم تصديق.

ـ لا أدري ما أقول. لم أتصور قطُّ..

ونظرت إلى ابنتها بحيرة واضحة.

ـ جانيس.. كنت مذهلة. لم أدرك قط أن بإمكانك التمثيل بهذه الروعة.

قالت ايڤا آشتون التي نظرت إلى جانيس نظرة تساؤل.

ـ مع ذلك فقد قالت ابنتك بصراحة إنها ليست ممثلة.. لكن أداءها كان رائعاً.. آه.. كارا.

ارتدت إلى ابنتها التي وصلت إليهن وعلى وجهها اهتمام مفتعل.

ـ هذه السيدة يونغ.. والدة جانيس.. وهذه ابنتي، كارا مارثاين.

تمتمت اڤلين يونغ التي ما زالت مرتبكة:

ـ كيف حالك؟.

هزت كارا مارثاين رأسها بطريقة ملوكية قبل أن تلتفت إلى جانيس.

ـ يا لها من مفاجأة رائعة، انقلبت إليها، آنسة يونغ! لكن، ليس هناك شيء يضاهي معرفة ما في أعماق المرء. ومن المؤكد أن براند يعرف جيداً ما في أعماقك! أليس كذلك؟ لقد أخبرني وودي وينثرز للتو كيف...

قاطعتها ايڤا آشتون بكل رقة السكين الحادة.

ـ كارا... الحصرم لا يفيد.

ثم ابتسمت كلبوءة تكشف عن أنيابها: «تجرعي شراباً ما ليطفيء ما في أعماقك كارا».

وصل ساق يحمل صينية، وجاء من خلفه براند آشتون ورجل آخر.. دايڤد كينغ، الذي لم يكن فقط زوج سالي روجر، بل منتج تلفزيوني أيضاً.

تقدم وودي وينثرز مجدداً. وانضم إلى الجميع مايكل ويذرس وميرنا ويرنر. وعندئذٍ تعالت صيحات المهنئين لجانيس بنجاحها، ولكن لم تبدر من براند آشتون كلمة واحدة. ابتسمت جانيس. وهزت رأسها

www.elromancia.com

تجاوباً ولكنها لم تكن تعي ما يقال.. لأنها كانت تحس بشيء واحد وهو صمت براند الذي أرادت منه أن يقول شيئاً، أي شيء.. أن يفتح ولو باباً واحد للتواصل.

كان يراقبها بتحفظ بارد.. في هذا الوقت أبدى دايفد كينغ اهتمامه بالاتصال بمدير أعمالها فسارعت اڤلين يونغ تقول إنها هي التي تدير أعمال ابنتها.. وتكلم وودي وينثرز عن مستقبل جانيس المشرق.

مستقبلها.. عملها.. مستقبلها المهني.. شعرت بأن مطرقة ثقيلة تضرب على الوتر الذي يفرق بينهما، وتدفع براند إلى الابتعاد أكثر.

كان انسحابه ملموساً.. فأرادت أن تمد يدها إليه، توقفه، أن تصيح أن عملها لا يعني لها شيئاً. فما أظهرته على الشاشة هو الحقيقة الوحيدة... إنها لا تريد الأضواء المبهرة.. بل تريد دفئه وحبه.

تغلب اليأس على الكرامة، فنظرت إليه بعذاب وحب وظهرت في عينيها الخضراوين حاجتها إليه. وعندما نظرت إليه رأت ما يشبه الاستجابة في عينيه اللتين سارع إلى إبعادهما عنها، وفي وجهه رفض واضح.. رأته يتمتم بضع كلمات لأمه، قبل أن يبعد نفسه عن المجموعة التي حول جانيس.. ثم اخترق الجموع بخطوات هادئة وترك القاعة.

أمسك مايكل ويذرس ذراعها وقال شيئاً عن العقد، ولكن قلبها كان يخفق محتجاً متوسلاً... مطالباً بفرصة أخيرة.. ولحقت قدماها بما أملاه عليها قلبها، وحملتاها بعيداً عن الناس مختارة بشكل آلي طريق براند آشتون وراحت تسرع بلهفة حتى وصلت إلى الباب.

كان الممر في الخارج فارغاً.. هرعت إلى حيث المصاعد ورأت أن أحدها يهبط فضغطت على الزر الآخر.. يجب أن تلحق به، يجب أن تخبره.. يجب أن تجعله يصغي. اغرورقت عيناها بدموع الاحباط لأن الأبواب ظلت مقفلة.

ـ جانيس.. انتظري!.

ارتدت إلى مايكل ويذرس بنفاد صبر وذعر.. وصاحت به:

ـ لا أريد عقدكم.

امتدت يداها إلى أزرار المصعد مجدداً.. وسمعت صوتاً يصيح:

ـ أوقفها مايكل.

أمسكتها يدان تمنعانها من فتح أبواب المصعد.. وصاحت جانيس باكية منتحبة.

ـ دعني أذهب! يجب أن أذهب!.

ـ سيدة آشتون؟.

سمعت طقطقة حذاء في الممر.

ـ شكراً لك.. لن أحتاج إليك أكثر من هذا.

سمّرت المفاجأة جانيس في مكانها للحظة، ثم أدركت أنها حرّة. دخلت المصعد وضربت يدها على زر الهبوط وأقفلت الأبواب إنما ليس قبل أن تخطو ايڤا آشتون إلى الداخل.

نظرت العجوز إلى جانيس نظرة الخبير بالحياة.

ـ هل تعرفين ماذا تفعلين؟.

ـ لا أهتم.. لا أهتم بمستقبلي العملي.

تسمّرت عيناها على أرقام الطوابق التي كانت تنطفىء وتضاء في اللوحة.. الطابق الرابع.. الثالث.. المصعد يزحف نزولاً... يا الله! اجعله يسرع أكثر.

ـ عزيزتي، على المرء دائماً أن تبقى خياراته مفتوحة.. العقد بانتظارك حتى يوم الاثنين إذا غيرت رأيك.

ـ لن أغير رأيي.

الطابق الثاني.. هيا.. هيا..

ـ لا.. لا أظنك ستفعلين... على فكرة، إذا كان هذا يعني شيئاً

www.elromancia.com

لك.. قال لي إنه ذاهب ليصطاد السمك.

يصطاد السمك.. امتلأ قلبها بالمشاعر وارتدت إلى السيدة العجوز.. ودموع الراحة تتدفق على وجنتيها.

- يجب أن أذهب.. فأنا أحبه.

ابتسمت ايڤا آشتون ابتسامة متعبة.

- سأخبر أمك بالمكان الذي ذهبت إليه.

كانت ابتسامة جانيس مرتجفة.

- شكراً لك.

انفتح باب المصعد على البهو.. وخرجت جانيس والأمل يُشعرها بأنها تطير بينما تفكيرها وقلبها يقفزان أمامها نحو الرجل الذي على الشاطىء.

* * *

١١ - يا رمال... أعيدي الخيال!

عندما لم ترَ وميضاً في الكوخ ضغط الخوف على قدمها فوق دواسة السرعة، فقفزت السيارة إلى الأمام وكادت تخرج عن مسارها.. يجب أن يكون هنا... التقطت الأنوار الأمامية اللاندروڤر الواقف أمام الكوخ فسرت الراحة في شرايينها.. إنه هناك.. أوقفت سيارتها بسرعة، ثم جلست بضع لحظات لتلملم شتات نفسها... لن يرفضها.. لن تتركه يرفضها.

مع أن خطواتها أخذت تتردد وهي تتقدم إلى الكوخ، إلا أنها استجمعت كل ذرة من ارادتها لتدفع الباب وتسير إلى الداخل.. ولكنها لم تسمع صوتاً في هذه الغرفة المظلمة الفارغة.. وأجبرت نفسها على الكلام:

- براند! أين أنت؟.

لا جواب.

الشاطىء.. سيكون على الشاطىء.. رفست صندالها من قدميها، وخلعت جوربها ورمته على أقرب كرسي.. وسارت.. سارت حافية القدمين، وقلبها يخفق ملهوفاً... ركضت إلى الخارج وسرعان ما رأت عيناها صورة لشبح أسود قرب حافة الماء.. لم تستطع أن تعرف ما إذا كان ملتفتاً نحوها أو نحو البحر. لم يكن يتحرك فتابعت الركض على

www.elromancia.com

الرمال التي كانت ثقيلة فأبطأت من تقدمها.. لكنها لم تتوقف عن الركض حتى رأته يواجهها.

مع ذلك لم يتحرك ولم تبدر عنه خطوة واحدة نحوها... كان وكأنه تمثال لولا بريق العينين السوداوين... كان يدس يديه في جيبي سترته الواقية من الريح ورأسه إلى الوراء في وقفة تكبر مهيبة.

توقفت جانيس تلتقط أنفاسها.. لم يكن في وقفته أية دعوة لها، مع ذلك أحست أنه ينتظر وأنه يريد منها أن تتكلم. ابتلعت ريقها واختارت الكلمات بدقة، تسعى إلى زمن التناغم الجميل بينهما.

ـ أيمكن... أيمكنني البقاء معك؟.

انخفض ذقنه بحدة، وسمعت أنفاسه تخرج بقوة وكأنه كان يكبتها لمدة طويلة. وشد التوتر أعصابها وهي تنتظر رده..

ـ إذا رغبت في هذا.

مع ذلك لم يتقدم نحوها.. تلفظ فقط بالكلمات همساً... ثم سحب يديه ببطء من جيبيه ومدهما إليها، فأسرعت تأخذهما كما يأخذ الغريق طوق النجاة، والتفت أصابعها حول أصابعه بقوة وبدا في عينيه نظرة عدم تصديق... ابتسمت له جانيس مطمئنة لكنها كانت ابتسامة ملؤها العذاب وتأرجحت أنفاسها ما بين التردد والقلق.

قال بصوت متجهم: «فلنسِر».

هذا يكفيها بداية... يكفيها.. أن تكون إلى جانبه، أن تلامس ذراعها ذراعه. أن يخطوا معاً وهي تعرف أنه تقبل وجودها.. كانت الأمواج المتكسرة تلتف حول أقدامها، كما حدث منذ أسابيع عدة.

تدحرجت صدفة تحت قدميها، فتوقفت لتلتقطها.

ـ لا تلتقطيها.

خرج الأمر الحاد كصيحة عذاب فاستقامت ترفع نظرها إليه بعينين مجفلتين.

هز رأسه وسحب نفساً عميقاً:

ـ جانيس.. لا أريد خيالاً. لقد جبت هذا الشاطىء مرات ومرات وقلبي يأمل أن تعودي. حين ركضت نحوي أحسست أن حلمي تحقق.. لكن..

وضعت يدها على شفتيه تسكته.

ـ لا.. لا قلق.. أنا لست حلماً.. أنا هنا. اغمرني، ضمني إليك...

وضغطت نفسها عليه بقوة ولفت ذراعيها حول عنقه ورفعت رأسها إليه بتمتمة:

ـ أحبك.. أريدك.. أحتاج إليك.

تأوه بصوت عميق.. ثم التفت ذراعاه حولها تسحقانها إليه. تحركت يداه عليها بتملك لا يلين.. وكأنه يحتاج أن يتأكد أنها حقيقية.

تمتم وفي رنة صوته بهجة وحبور.

ـ أنت جميلة جداً.

أسعدتها كلماته لكن حاجتها إلى أن يضمها كانت أكبر من حاجتها إلى كلماته.

لفت ذراعيها حوله أكثر وأكثر.

فجأة سألها:

ـ كم من الوقت أمامي جانيس؟.

الاستسلام الصريح في صوته غرز في قلبها إبر التردد.. وسألت بصوت متوتر:

ـ ماذا تعني؟.

تنهد وكأن رجفة تجري في جسده.

ـ يوماً؟ يومين؟ هل ستبقين معي حتى الأحد؟.

قالت واعدة بصوت أجش:.

ـ سأبقى طالما أردتني.. ولا أريد أن أتركك أبداً.

أحست بأنفاسه تخرج حادة، وفي هذه اللحظة تخللت أصابعه في شعرها.

ـ أتعنين نهاية الاسبوع هذا؟.. أعرف أنك ستوقعين العقد يوم الاثنين.

كان صوته خالياً من العواطف فيه حذر شديد.. إنه يختبىء منها.

أبعدت نفسها عن ذراعيه لتنظر في عينيه فإذا هما بركتان سوداوان عميقتان جامدتان.. لامست خده بحنان، ترسل له حبها عبر أطراف أصابعها الناعمة.

ـ لا أريد العقد.. لا أريد العمل. قلت لهم هذا قبل أن ألحق بك.. فتاة آشتون الوحيدة التي أريد أن أكونها، هي أن أكون فتاتك وسأكون لك طالما أردتني... سأبقى حتى أسبوع.. أو شهر... أو سنة.. أو كل حياتي.. إذا كنت تريدني.

كانت تحاول بكلامها الرقيق إقناعه أن عرضها حقيقي، حاجة ملحة لا يمكن أن يجيب عليها سواه.

أمسك رأسها بين يديه:

ـ كفى! لا تقولي ما لا تعنينه!.

في صوته الآن عاطفة جيّاشة وفي عينيه ضعف لم تره من قبل.

ـ يجب أن أعرف ماذا أتوقع.. بإمكانك الحصول على عقدك، حياتك العملية.. لن أحاول انتزاع هذا منك. ولا أعرف كيف سأتحمل الفراق، لكنني سأتكيف معه طالما أنت تحبينني.

طمأنته بحنان:

ـ آه براند..! سأحبك دائماً.. أنا لست ممثلة، ولا أحب حتى مهنة عرض الأزياء.. كان عملاً دفعتني إليه أمي بسبب جمالي.. وكان هذا طموحها هي، وليس طموحي. جاريتها في هذا لأنني لم أكن أعرف

ماذا أفعل ولأنه أرضاها.. وأنت الذي دفعني إلى العمل الذي ينبىء بمستقبل باهر ووافقت معك بدافع الكبرياء. ذلك اليوم الأول في مكتبك حين لامستني لم أرد سوى أن أشعر مرة أخرى بالسحر الذي تشاركناه ذاك اليوم على الشاطىء.. لم يكن لهذا علاقة بالعمل.

جاء الصراع بين التصديق وعدمه بتوتر مؤلم إلى صوته:

ـ لا تستطيعين أن تفهمي كم كان قاسياً أن أبعدك عني ذلك اليوم جانيس... لكنك سبق أن رفضتني ورفضت ذاك السحر الذي علقنا فيه وظننت أنك لم تشعري بما شعرت به.. وإلا لما استطعت الابتعاد عني كما فعلت.. كيف استطعت هذا؟.

تنهدت وتلمست بلطف خطوط الألم على جبينه.

ـ أتذكر كيف كنت ساعة وجدتني؟ كنت مجروحة متألمة، ومحبطة. ولكن تعارفنا أعطب هذا الألم. وبدا لي أن لقاءنا وتعارفنا كان حلماً لكن ما إن عدت إلى حياتي حتى فهمت ما تخليت عنه.

ـ لكن... كان بإمكانك أن تعودي.. هل تصدقين لو قلت لك إنني بقيت هنا؟ كنت هنا كل ليلة، ولأسابيع، أنتظرك.

طعنتها الوحشة التي بدت في صوته وشعرت بالذنب وخجلت من الحقيقة، لكنها لا بد أن تقال!.

ـ كنت خائفة.. لم أكن أعرف هويتك، كنت أكثر جبناً من أن أقفز إلى المجهول.

ران صمته ثقيلاً، ثم جاءت كلماته التالية فإذا هي أكثر ثقلاً.. هادئة، باردة، ميتة:

ـ لكنك رضيت الآن لأنك عرفت أنني براندون آشتون.

الرجل الذي تحبه تبدل فجأة ببراندون آشتون البارد القاسي، رئيس مؤسسة آشتون.. وأحست جانيس وكأنه صفعها فانكمشت عنه ثم ابتعدت وجلست على الرمال تضم ساقيها شاعرة بالوحدة ثم أجفلتها

لمسته الرقيقة على كتفها بعد أن جلس قربها:

ـ لا أهتم بسبب وجودك معي، ما دمت أنت هنا. فلا تهربي مني مجدداً.

ضمها إليه يبدد توترها بيدين ملاطفتين.

ـ لا شيء في حياتي يماثل ما أحسسته نحوك ذلك اليوم.. أتعرفين ما كنت تشبهين؟ فتاة صغيرة خائفة. وأردت مواساتك، والتخفيف عن ألمك، وكنت مسروراً جداً عندما رأيتك تبرزين من خلف الظلال التي في أفكارك. كنت كالفراشة التي خرجت من شرنقتها وفتحت جناحيها نحو الشمس.

ازداد عمق صوته وهو يضمها جيداً.

ـ أردت استبقاءك، لكنني لم أستطع إفساد الأمر عليك أو التدخل في طيرانك. كنت مشرقة متوهجة بفرح خاص... وكان كل شيء كالسحر الذي يتجاوز كل أحلامي المجنونة.. كأنني أحتضن كل الأشياء البدائية في الحياة، وأعرف أنها لك. ظننت أنني سأحصل على كل شيء يريده رجل... لكنك رحلت.

تنهد ساحباً نفساً طويلاً مرتجفاً في شعرها ولكن هذا الهجران الذي تردد صوته في نبرته حمل بالدموع إلى عينيها، فلم يعد لديها أي شك في مدى حبها له.. فارتدت تلف ذراعيها حول عنقه، تشعر بالاطمئنان لأنها موجودة معه.

ـ لن أتركك مرة أخرى.. ليس إلا إذا أبعدتني أنت عنك. لم أقصد إيلامك براند.. لكنني لم أكن قادرة على التفكير السوي، ولم أثق بمشاعري... ألم ترَ كم كنت مشوّشة؟ ظننت أنني محطمة الفؤاد بسبب ستيفنز وغدره بي، كنت أظن أنني أحبه.. ثم أبعدته فجأة عن تفكيري وعندئذٍ لم أستطع أن أفهم كيف استطعت أن أكون متقلبة هكذا. أحسست أن العالم كله انقلب رأساً على عقب، وأنني خرجت من

الوجود ثم وجدت أن علي أن أتسلق مجدداً إلى أرض الواقع. حين عرفت أنك براند آشتون، وحضرتني لتمثيل الفيلم، ازددت تشوشاً. لقد حلمت طويلاً بالرجل الذي على الشاطىء.. لكنني كرهت براندون آشتون.. كرهت ما تفعله بي.. ولو كان أمامي بديل، لما قبلت عرضك. لكن، والأمر كما كان، لم يبق لدي خيار.

ـ ماذا تعنين؟ كان بإمكانك الرفض.

مررت يدها على جبينه المقطب.

ـ ألم تعرف أنني لم أستطع أن أجد عملاً؟.

هز رأسه، وازداد عبوسه عمقاً.

ـ أوه.. براند! يومذاك كنت يائسة إذ لم يرد أحد استخدامي بدون ستيفنز، لكنني لم أعد أستطيع العمل معه ليس بعد خيانته إياي.. على أي حال كان قد جاء محاولاً أن يقول لي إنني حمقاء سخيفة، وشرعت أمي تدعمه.. ثم جاء عرض آشتون، فلوحت به في وجهيهما لأريهما أنني أستطيع أن أعمل مستقلة.. لم أعرف أنك وراء العرض.. ظننت أنه عرض حقيقي، وبدا لي أنه فرصتي الوحيدة لأقف مجدداً على قدمي بمفردي.. لكنني فقدت توازني تماماً حين دخلت مكتبك ورأيتك.

تمتم:

ـ لم أكن أعرف.. ولم أفكر في هذا الواقع.

سرحت عيناه بعيداً وعلا وجهه الكآبة، فمدت يدها إليه برقة تريد أن تشعره بوجودها أكثر.. أمسك يدها وضغط عليها، وقال بصوت يتعمد البطء:

ـ هكذا علقت في فخ لعب الدور، وأنت لم ترغبي حقاً في القيام به.

تنهدت واندست به.

ـ كان علي إما القبول بالعمل وإما الاعتراف بالفشل. وما زاد من

www.elromancia.com

بؤسي أنك أردت تصوير ما كان أمراً شخصياً خاصاً جداً.. لكنني أقنعت نفسي بأن علي أن أنسى أهمية الأمر عندي لأن ذلك لم يعنِ الكثير لك. أردت في نفسي أن أنسى وكأن الأمر لم يكن له تلك الأهمية.. لكن التنفيذ آلمني حتى لم أعد أستطيع القيام به.. على الأقل قبل أن تخطو وتأخذ مكان كايرد بيترسون.. لم أتصور قط أنك ستقبل، أتعرف هذا.. كنت أحاول أن أجد وسيلة للتهرب.. وظننتك سترفض.

ضمها إليه بشدة أكثر:

ـ كنت أحمق، أحمق أعمى وأبله.. كل الدلائل كانت موجودة، لو كان لي عينان تريان لرأيت الأمر من زاوية مختلفة.

ضمها إليه وعيناه تتوسلان الغفران ويده تبعد خصل شعرها عن صدغيها.

ـ وأنت عدت إلي.. لكنني لا أستحقك جانيس.. كنت معتداً جداً بنفسي، متكبراً مغروراً.. وطوال الوقت لم أفكر إلا في ما أريده أنا.

قاطعته بنعومة:

ـ هذا غير صحيح.. كنت تعتقد أنك تمهد لي الطريق للوصول إلى النجومية على الصعيد المهني.

سحب نفساً عميقاً ما لبث أن أطلقه:

ـ لا.. كل ما كنت أفكر فيه هو كيف أجعلك تعودين إلي.. لم يكن للفيلم علاقة بتسويق العطر، أو برفعك إلى النجومية. كان فقط لأذكرك بأنني موجود، وأجعلك تشعرين بالندم على رحيلك عني. كنت أكثر تكبراً من أن أتوسل.. على الأقل كنت هكذا حتى احتويتك بين ذراعي في آخر مشهد، وعندئذٍ لم أستطع كبح نفسي. أردتك بطريقة مؤلمة بحيث أن أي فتات منك كان يكفيني.

أدخلت الذكرى الاتهام إلى صوتها.

ـ لماذا اذن تركتني وابتعدت بعد المشهد؟ كان يجب أن تعرف أنني

لم أكن أمثل، براند!.

ـ استجابتك لي شوّشتني بشكل كامل... لم أتوقع أن تعطيني ما في نفسك كما فعلت. ولم أكن أعرف ما إذا كنت تحاولين تعذيبي أم تحاولين تجربة مدى سلطتك علي.. كنت غاضباً من نفسي لتوسلي إليك وغاضباً منك لأنك فضلت عملك عليّ. أردت أن أريك كم أحتاج إليك، لكنني ما كنت لأزحف عند قدميك. وعندما خرجت من الكوخ، ووقفت قرب المقطورة منعتني كبريائي اللعينة من التقدم وانتظرت أن تبادري أنت أولاً لكنك لم تتحركي.. بل بقيت واقفة حيث أنت.

ـ كنت أنتظر إشارة منك.. كنت أرتجف.. ظننت أنك فعلت ما فعلت من أجل الفيلم.. لقد قلبت كياني رأساً على عقب، ولم أعد أعرف بماذا أفكر. بدوت بارداً ومتباعداً جداً.. حتى الليلة لم أكن واثقة. حاولت أن أظهر لك ما أحس به بعد عرض الفيلم، لكنك ارتددت على عقبيك وتركت المكان.

ـ كان يجب أن أذهب.. لم أستطع تحمل كلمة أخرى عن عملك ومستقبلك.. عرفت أنك تريدينني جانيس.. رأيت هذا في عينيك، لكنني لم أكن واثقاً ما إذا كنت قادراً على القبول بأن أكون حبيباً لجزء من الوقت، فأنا أتوق دوماً إلى أكثر مما أنت مستعدة لإعطائي إياه. لم أكن أريد أن أكون في الدرجة الثانية بعد الكاميرا.. وجئت إلى هنا كي أفكر بكل شيء.

سألت برقة: وإلام توصلت؟.

ـ لا شيء.. مشيت على الشاطىء حالماً فقط بفتاة عرفتها يوماً. أتمنى لو كان من الممكن أن أعيد الزمن إلى الوراء.. ثم وصلت.

داعبت أطراف ابتسامته بأصابعها:

ـ وهل فوجئت؟.

فكّر لحظة، ثم هز رأسه:

ـ بدا لي الأمر وكأنني كنت أنتظر مجيئك.. ولم أتساءل عن هذا.. حلمت بهذا دائماً بحيث أحسست عندما حدث الأمر أنني لا زلت أحلم.

ـ كنت خائفة أن ترفضني.

ابتسم: لك قدرة كبيرة على الإقناع فتلك الكلمات التي قلتها كانت قوية جداً.. هلاّ ردّدتها مجدداً؟.

ـ ماذا؟.

ـ آه!.. كلمات مثل: أحبك، أريدك، أحتاج إليك.. و.. لا أريد أن أتركك أبداً. المشكلة أنني لم أصدقك لحظتئذٍ.

طغى الدفء في قلبها على صوتها وهي تردد له ما أراد أن يسمعه.. ثم سألها برقة:

ـ وهل تتزوجيني؟.

اغرورقت دموع السعادة في عينيها وهمست بصوت أجش:

ـ إذا أردتني.

طبع قبلات صغيرة على وجهها كله، ثم قال:

ـ جانيس.. أنت حبي. وكل حياتي. لا أريد أبداً أن أعيش بدونك بعد اليوم.

أشعلت كلماته حبهما فتعانقا فرحين.

ـ هذا ليس خيالاً، أليس كذلك حبيبتي؟

ضحكت بجذل:

ـ لا... لا.. إنه حقيقي.. آه!.. براند! إنه حقيقي جميل ورائع.

* * *